مقدمات في

العلوم الشرعية

تقريظ

فضيلة الشيخ الدكتور
عبدالرحمن بن صالح المحمود
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام

فضيلة الشيخ الدكتور
محمد بن عبدالله الخضيري
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام

بقلم:
أبي عبدالإله
صالح بن مقبل العصيمي التميمي

دار الوطن للنشر

مقدمات
في العلوم الشرعية

إعداد
أبي عبد الإله
صالح بن مقبل العصيمي التميمي

تقديم

د/عبد الرحمن بن صالح المحمود د/محمد بن عبد الله الخضير

دار الوطن للنشر

ح دار الوطن للنشر والتوزيع - ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العصيمي؛ صالح مقبل

مقدمات في العلوم الشرعية - الرياض.

... ص ؛ ... سم

ردمك : ٨ - ٢٦٧ - ٢٨ - ٩٩٦٠

١-العلوم الشرعية *أ- العنوان*

ديوي ٢١٠،٩٠٩ *٢١/٤٣٩٢*

رقم الإيداع : ٢١/٤٣٩٢

ردمك : ٨ - ٢٦٧ - ٢٨ - ٩٩٦٠

الطبعة الثانية

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ - ص ب : ٣٣١٠

- البريـد الالكتـروني : pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الانترنت : www.dar-alwatan.com

تقريظ بقلم فضيلة الشيخ
د. عبد الرحمن بن صالح المحمود

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد أطلعني الأخ الفاضل الشيخ/ صالح بن مقبل العصيمي، على هذه الرسالة اللطيفة التي بعنوان «**مقدمات في العلوم الشرعية**» وقد كتبها لمسيس الحاجة إليها بالنسبة للدورات الشرعية التي تقام في بعض البلاد لتوجيه وتعليم إخواننا هناك ما يلزمهم من مقدمات العلوم الشرعية التي يحتاجون إليها.

وقد قرأت هذه الرسالة فألفيتها رسالة نافعة جمعت عدداً من المقدمات حول:

١ ـ الدعوة إلى الله تعالى وآدابها، وفضل طلب العلم وآدابه.

٢ ـ علم التفسير وما يتعلق به من فضل القرآن الكريم وأنواع التفسير والمؤلفات فيه.

٣ ـ العقيدة في أصولها ولوازمها ومباحثها.

٤ ـ فضل الصحابة ومكانتهم وحكم الطعن فيهم.

٥ ـ علم السنة ومصطلحها.

٦ ـ علم الفقه وأصوله وقواعده.

وقد جاء عرضه لهذه المسائل سهلاً مفيداً، جمع فيها بين سهولة العبارة، واختصارها، واشتمالها على الأدلة ما أمكن ذلك، مما يجعل

هذه المقدمات دليلاً ومرشداً لأساتذة وطلاب الدورات العلمية الشرعية، حيث إن مثل هذه الدورات تكاد تفتقد الكتاب المختصر الشامل المناسب لمثل دورة شرعية لمدة أسبوع أو أكثر، لأن الموجود إما كتب مطولة أو متون متكاملة يحتاج شرح المتن الواحد منها إلى دورة مستقلة.

ولذا كان من السهل الممتنع وجود الكتاب المختصر الشامل لعدة متون وفنون نافعة، وإني لأرجو أن يكون هذا الكتاب الذي كتبه أخي الشيخ صالح من هذا النوع من الكتب التي يعم نفعها، ويكون نواة للدورات الشرعية المختلفة، ومنهجاً لها تنطلق منه لبيان هذه العلوم وترسيخها لدى إخواننا هناك، حيث تصعب عليهم الكتب العلمية الكبيرة الواسعة.

إن الواجب الملقى على طلاب العلم كبير ومتنوع، ومنه ما هو متعلق بإخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ـ خاصة غير الناطقين بالعربية ـ فإن هؤلاء يأملون من إخوانهم طلاب العلم أن يقربوا لهم العلم الشرعي، وأن يضعوا في فنونه الكتب المتدرجة: للمبتدئين، ثم للمتوسطين ثم لمن فوق هؤلاء ممن رسخ باعهم في العلم.

وهذا الكتاب إسهام وقيام ببعض هذا الواجب، قام به أخونا الفاضل ـ وفقه الله تعالى لطاعته ـ وأجزل له المثوبة.

أسأل الله أن يرزقنا وإياه الإخلاص في الأقوال والأعمال وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه/ **عبد الرحمن الصالح المحمود**

ليلة ١٧ رمضان ١٤٢١هـ الريـــاض

تقريظ بقلم فضيلة الشيخ
محمد بن عبد الله الخضير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده، ثم أما بعد:

لقد كنا نعاني عند قيامنا بإقامة دورات خارج المملكة من عدم وجود منهج يمتاز بتنوع علومه الضرورية، ومناسبته للواقع والوقت مع سهولة بالعبارة وشموله للأهداف حتى مَنَّ الله علينا بقيام الشيخ صالح العصيمي بمؤَلف يحقق هذه الأهداف كلها، فقد قمت بتدريسه فرأيته كذلك ولمست من الطلاب ما يدل على ارتياحهم لما طرح من مادة أثناء الدورة، فجعل الله ذلك في ميزان حسناته يوم يلقاه، ونفع الله بالمؤلِف والمؤَلف، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء، وصلى الله على نبينا محمد.

قاله وكتبه

د. محمد بن عبد الله الخضير

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد. . .

فإن الدعوة إلى الله من أعظم القربات وأجلها، وكم يسعد المرء المسلم حينما يبذل وقتَه وجهدَه ومالَه في سبيلها، ولقد تشرفت غاية التشريف عندما طلب مني أحبتي في الله إعداد هذه المذكرة التي تشتمل على مقدمات لبعض العلوم الشرعية، وبعض المبادىء والأخلاق الإسلامية للدعاة ليفيد منها طلاب العلم ودعاة المستقبل في الأقطار المتفرقة والأمصار المتباعدة.

ولا شك أنهم يستحقون جهداً أعظم من جهدي؛ ولِمَ لا؟ وهم حملة الأمانة، ومبلغو الرسالة، وأنصار السنة، وقامعو البدعة، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، ولله در الإمام أحمد حينما قال عنهم في خطبة كتابه: «الرد على الجهمية والزنادقة»: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبُصرون بنور الله أهل العمى؛ فكم قتيلٍ لإبليس قد أحيوه!، وكم ضال تائه قد هدوه!؛ فما أحسن أثرهم على الناس! وأقبح أثر الناس عليهم!، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدع وأطلقوا عقال الفتنة؛ فهم

مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهّال الناس بما يشبّهون عليهم فنعوذ بالله من فتن الضالين» انتهى كلامه رحمه الله.

ولقد زاد من فرحي وسروري تشرف هذه المقدمات وكاتبها؛ بتقريظ فضيلة شيخي الفاضل الشيخ/ عبد الرحمن بن صالح المحمود[١] وفضيلة الشيخ الفاضل محمد بن عبد الله الخضير، وقد قمت بتدوين الملاحظات في الهامش مع عزوها لهما، فلهما مني الشكر والتقدير. ولا شك أن الدعاة إلى الله يستحقون منّا الدعاء والبذل والعطاء فهم منارات الهدى ومصابيح الدجى، وما جهدي في هذه المذكرة إلا جهد المقل وعمل المقصر لم آت بجديد، وما يكون فيها من صواب فمن الله وما يكون من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأسأل الله أن يغفر لنا خطايانا يوم الدين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صالح بن مقبل العصيمي التميمي
ص.ب ١٢٠٩٦٩ الرياض ١١٦٨٩
المحمول ٠٥٥٤٢٨٩٦٠

(١) لم أتمكن من عرض هامش ٣ ص ٤١ وهامش ٢ ص ٥١ وهامش ١ ص ٥٤ على المشائخ الفضلاء لأن إضافتها كانت متأخرة بطلب من شيخي الفاضل فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله البراك، والذي رأى الحاجة إلى هذه الإضافة ـ والله الموفق ـ.

مقدمة في الدعوة إلى الله

تُعَدُّ الدعوة إلى الله من أجل القُربات وأعظمها وأشرفها؛ لذا قام بها خير البرية على الإطلاق وهم الأنبياء والمرسلون وكفى بذلك دليلاً على فضلها؛ لأننا ندعو البشرية إلى الوظيفة الحقيقية في الحياة وهي العبودية الحقة لله ـ تعالى ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات]، ومن أجل ذلك رتَّبَ الله عليها أجراً عظيماً وعطاءً جزيلاً؛ قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «لأنْ يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم»[1]، وما ذاك إلا لعظم أهمية هذا العمل، فينبغي على المسلم أن يتعلم أصول الدعوة إلى الله ويقتدي بمنهج سلف هذه الأمة وعلى رأسهم أول داعية في الإسلام محمد ـ ﷺ ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب] حيث كانت دعوته ومن تبعه إلى الله على بصيرة قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف].

ندعو إلى الله لأمور:

١ ـ نشر دين الله وتحقيق عبوديته في الأرض؛ بالقضاء على كل

---

(١) رواه البخاري كتاب المغازي ٤٢١٠، ومسلم فضائل الصحابة ٢٤٠٦.

ما يضاد ذلك من أنواع الكفر والطغيان والفسوق والعصيان.

٢ ـ اقتداء بالأسوة الحسنة محمدٍ ـ ﷺ ـ؛ حيث كان يدعو آناء الليل وأطراف النهار وجاهد في سبيل الله كما جاهد الأنبياء والمرسلون من قبله قال الله ـ تعالى ـ على لسان نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝﴾ إلى أن قال: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝﴾ [نوح]، فنوح نبي من أنبياء الله دعا قومه في الأوقات كلها وبكافة الوسائل والطرق، بل إنه مكث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً بلا كلل ولا ملل، لذا استجاب الحبيب ـ ﷺ ـ لأمر الله في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾، ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝﴾ فظل النبي ـ ﷺ ـ داعياً إلى الله حتى أتاه اليقين، وأمر أتباعه بالدعوة إلى الله فقال ـ ﷺ ـ: «**بلغوا عني ولو آية**»[1].

٣ ـ وجود الشرك والكفر يؤثِّر عاجلاً أو آجلاً على بقاء الإسلام ويقلل من أتباعه إن لم تستمر الدعوة إلى الله.

٤ ـ دفع الهلاك والعذاب عن المسلمين: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝﴾ [الأنفال]. وعن زينب بنت جحش أنها سألت الرسول ـ ﷺ ـ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»[2].

---

(١) البخاري، كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل حديث (٣٤٦١).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ح (٢٨٨٠).

٥ ـ **حاجة البشرية الماسة للإسلام**: لتخليصها من الرق والعبودية وحل مشكلاتها وإصلاح أحوالها فلا يمكن أن تحل هذه المشكلات إلا بالإسلام الصحيح قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه].

٦ ـ الوقوف في وجه حملات التنصير والتضليل التي اجتاحت العالم بأسره وشككت بعض ضعفاء المسلمين في دينهم.

٧ ـ الوقوف في وجه المبادئ الهدامة من العلمانية والشيوعية والقومية والحداثة وغيرها.

٨ ـ **إن الدعوة إلى الله أشرف وظيفة**؛ لما فيها من عز في الدنيا ونعيم في الآخرة.

ما حكم الدعوة إلى الله؟ ومن المكلّف بها؟

الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة كل بحسبه لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران] ولقوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ولقوله ـ ﷺ ـ: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[١]. أما «مِنْ» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ ﴾ فهي للتبعيض[٢]، أو لاستغراق الجنس نظير «من» في قوله

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ح٤٩.
(٢) لعل الأصوب أن يقال: (من) للتبيين وتفيد العموم [المحمود].

ـ تعالى ـ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[(١)]، ومن هنا فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على قصر الدعوة على فئة معينة بل هي واجبة على الجميع لما ذكرناه من الأدلة السابقة وتوجيه الآية ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾.

أمور يجب على الداعية مراعاتها:

١ ـ العلم: على الداعية أن يكون عالماً بما يدعو إليه وبما يدعو به قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ والعلم ليس شيئاً واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض بل هو أجزاء فمن علم مسألة فهو عالم بها يجب عليه أن يدعو إليها ولا يكلف بالدعوة في ما لا يعلم.

وعلى كل مسلم أن يدعو إلى الله بالقدر الذي يعلمه ولا يتكلف في ما لا يعلم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾. ولو قصرنا الدعوة على العلماء الذين نالوا حظاً واسعاً

---

(١) ذكر الباحث ـ وفقه الله ـ القولين في الآية، ورجح أن [من] ليست للتبعيض، مما يقتضي الوجوب العيني لجميع الأمة. وما اختاره مرجوح. والراجح ما عليه الجمهور من أن الدعوة إلى الله واجبة على الكفاية، وإذا كان الجهاد ـ مع كثرة أدلته الآمرة به ـ هو فرض على الكفاية إلا في حالات ذكرها العلماء, فما ههنا من الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أولى بأن يكون كفائيا، ثم نقول:
١ ـ الواجب الكفائي يقتضي وجوب القيام بهذا الأمر، فإن قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع، وهذا كافٍ في بيان أهمية هذا الواجب وخطورة تركه أو التقصير فيه من جانب الأمة، وبه تبين عظيم أجر من يقوم بهذا الواجب ويرفع الإثم عن بقية الأمة.
٢ ـ أن هناك حالات يتعين فيها على أناس مخصوصين الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل طالب علم في بلد لا يوجد غيره فيتعين عليه الدعوة وتعليم الناس دينهم. ومثل رجل رأى منكراً ولم يعلم به غيره فواجب عليه النهي عن هذا المنكر. . . وهكذا. [المحمود].

من العلم ولم نجوز لغيرهم الدعوة لم يكن عندنا من الدعاة إلا أعدادٌ قليلة لا تكاد تذكر، ولَتفَشّيَ الباطلُ واَنتشر المنكرَ، كما أن على الداعية أن يفيد من العلماء ويستنير بآرائهم وكتبهم ومؤلفاتهم.

٢ ـ أن يدعو إلى الله في كل وقت وأي حال؛ إنّ الدعوة إلى الله ليست كالصلاة أو الصيام أو الحج؛ لها أزمنة محددة وأوقات معلومة فلا يجوز تأخيرها ولا تقديمها[١]، فهذا نوح ـ عليه السلام ـ كان يدعو قومه ليلاً ونهاراً جهراً وسرّاً، وهذا يوسف عليه السلام يحوّل السجن إلى حقل من حقول الدعوة ولم يعتذر بالسجن.... إلخ.

فالمسلم داعية في بيته وفي عمله وفي سوقه وفي متجره وفي سلوكه وفي تعامله وفي سفره وفي إقامته وفي كل أحواله وأوقاته قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام] وقوله ـ ﷺ ـ: «**اتق الله حيثما كنت**»[٢].

٣ ـ ليس شرطاً أن يستجيب الناس للداعي: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٥] ، إن الداعية عليه أن يستمر في دعوته ولو لم يستجب له أحد؛ لأن المطلوب منه البلاغُ المبين لا استجابة المدعوين، فعليه أداء واجبه بلا ملل ولا فتور ولا كلل، والاستمرار بواجبه كاستمراره بأداء بقية العبادات، وهذا هو منهج أنبياء الله ورسله

---

(١) يجوز في بعض الحالات تقديم الصلاة أو تأخيرها عن وقتها للمسافر وكذلك يجوز تأخير الصيام وكذلك تقديم الزكاة أو تأخيرها في حالات معينة ليس هذا مجال بسطها.

(٢) رواه مسلم ٥/٢٣٦، والترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في معاشرة الناس ح رقم ١٩٨٧.

فنوح مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وما آمن معه إلا قليل، بل بعض الأنبياء مكثوا دهوراً يدعون أقوامهم ولم يؤمن بدعوتهم أحد. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم: «لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب عليه فعله قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الذاريات] فإن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول»[1].

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٦٤﴾ [الأعراف]. فهذه هي العلة في استمرار الدعوة ولو لم تُر النتائج؛ لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فمن لم يتأثر اليوم فقد يتأثر غداً؛ فهذا خالد بن الوليد وأبو سفيان بن حرب وهند بنت عتبة حاربوا الرسول ـ ﷺ ـ وبعد ذلك أصبحوا دعاةً لدينه، فلو أوقفت الدعوة عنهم واكتفي بما تم من إبلاغه لهم كانت العاقبة وخيمةً عليهم.

٤ ـ **الرحمة والعطف على المدعوّ**: لقد كان النبي ـ ﷺ ـ حريصاً على الخير وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والدعوة إليه ومع ذلك فهو من أكثر الناس شفقة ورحمة بأمته قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة] بل بلغ من تصوير حرصه على أمته أن قال ـ ﷺ ـ: «**إنما مثلي ومثل أمتي كمثل**

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي.

رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه»[١]. فعلى الداعية أن يكون دافعه الحقيقي للدعوة الخوف الشديد على العصاة من سوء العاقبة لذا أظهر نوح ـ عليه السلام ـ سبباً من أسباب دعوته وهو خوفه على قومه قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥٩﴾[الأعراف].

وهذا مؤمن آل فرعون يقول لقومه كما في القرآن الكريم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠﴾وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢﴾، [غافر].

إن على الداعية أن يعلم أنه يتعامل مع مرضى والمرضى يحتاجون إلى قلب مشفق رحيم يتعامل مع أمراضهم المعنوية كتعامل الأطباء مع المرضى بأمراض حسية.

إن غالبية العصاة لا يشعرون بخطورة ما هم عليه لذا يجب توخي اللين والحكمة والهدوء عند التعامل مع أخطائهم فهذا هو منهج الربانيين حيث أمر الله ـ تعالى ـ نبيه موسى وهارون باستخدام القول الهين اللين لأعظم طاغية على وجه الأرض قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه: ٤٤]، فإذا كان فرعون ـ مع طغيانه وجبروته وادعائه الربوبية ودعوته الناس لعبادته ـ يعامل باللين، فغيره من الفسقة والعصاة من باب أولى، ولا يفهم ذو فهم سقيم أو متسرع أن هذا يقتضي المداهنة لأصحاب الذنوب والمعاصي بل هذه الحكمة عينها أما

---

(١) رواه مسلم كتاب الفضائل، باب شفقته ـ ﷺ ـ على أمته... رقم الحديث (١٧).

المداهنة فهي غض الطرف عن أخطائهم والإعراض عن نصحهم وإرشادهم رجاء مطامع ومكاسب ينالها منهم من يداهنهم.

وعلى الداعية الابتعاد عن الغلظة والشدة وعن التعامل مع الأخطاء بغضب اعتقاداً منه أن هذا غضب لله ورسوله، ومن كان هذا فكره فقد أبعد النجعة واستعجل النتيجة وخسر الثمرة قال الله ـ تعالى ـ ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران]، وأما الغضب والانتصار لدين الله فهذا مطلوب ولكن على حسَب درجة المدعو؛ فالكافر والفاسق يقابل بغير ما يقابل به المسلم الفاهم الواعي الذي لا نخشى من نفرته ونعلم مدى تغلغل الإيمان في قلبه، وكلٌّ بحسبه[١]، كما عليه أن يستخدم المعاريض عند مناقشة أخطائهم فلا يُشهر بهم ولا يفضحهم على رؤوس الأشهاد، بل عليه أن يقول: (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا) فإنه بهذا الأسلوب نبه المخصوصين وعلم الجاهلين وحصل المقصود دونما إحراج للمخطيء وهذا هو منهج أنبياء الله ورسله فلا تحد عنه قدر أنملة ولا يغرنك من خالفه أو حاد عن مسلكه.

٥ ـ ألاّ يبحث عن الأجر من الناس ولا يطلب ثناءهم وجاههم:
الدعوة عبادة عظيمة كغيرها من العبادات لا يُقْبَل منها إلا الخالص ولا يثاب عليها إلا المخلص قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا

---

(١) وهذا في باب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. أما في حال الاحتساب على المجاهرين بالزندقة، أو بالمعاصي والفواحش، فهؤلاء ـ إذا لم يرعووا عن غيهم ـ فلابدّ من الأخذ على أيديهم وتغيير منكرهم عند القدرة على ذلك. وليس هذا موضع بسط ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودرجاته. [المحمود].

وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ لذا بوب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في كتابه العظيم التوحيد «باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا» واستدل بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[هود].

لذا فعلى الداعية ألاّ يلتمس الأجر من الناس على دعوته ولا يكن مطلبَه وهمَّه ثناؤهم وتمجيدُهم وتمييزُه من بينهم وإحاطتهُ بسياج العظمة، فمن كان هذا مطلبَه وهدفَه فقد خسر أجر دعوته واستحق العقاب لإشراكه مع الله أحداً في عبادته. وقد أوضح الأنبياء والرسل هذا المنهج وأنهم لا يريدون من الناس جزاءً ولا شكوراً قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ ﴾ [يونس]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشورى] وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يس].

إنَّ طلب محامد الناس وأموالهم مقابل الدعوة منزلق خطير على الداعيــة أن يتنبه إليه قبل الوقوع فيه، وعليه أن يحسب له ألف حساب، وأن يحتسب الأجر من الله[1]، ولا يدخل في هذا الباب ما يوضع من رواتب وعطايا للدعاة من أجل تفريغهم وإعانتهم على أمور دينهم ودنياهم.

٦ ـ **ألاّ يحتقر المدعو إذا كان ضعيفاً أو فقيراً**: إن مهمة الداعية

---

(١) ينظر في شرح حديث «ما ذئبان جائعان...» لابن رجب الحنبلي، فقد وفى وكفى.

إنقاذ الناس من النار وتخليصهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فكما نخشى على الأغنياء والوجهاء من النار وأهوالها، نخشى كذلك على الفقراء والضعفاء؛ لأنهم كذلك بحاجة إلى من يخلصهم من النار ويوجههم إلى عبادة الواحد القهار، إن الداعية عليه ألاّ يفرق بين العربيّ والأعجميّ، وبين الأسود والأبيض، وبين الشريف والوضيع، فكما يقابل ذوي الجاه والسلطان باللين والحكمة فعليه أن يقابل أصناف الناس جميعها بهذا الأسلوب؛ لأنهم عند الله سواسية لا يميز أحدهم على الآخر لا بحسب ولا بنسب إنما بالتقوى قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وإن الداعية قد يتعرض لأذى ليس من أهل السلطة والجاه بل من الضعفاء والفقراء وهذا يعد نوعاً من الأذى عليه أن يتحمله، فالرسول ـ ﷺ ـ تعرض للأذى من السادة كأبي جهل، وتعرض له من الوضعاء كما حدث حينما ذهب إلى الطائف، بل تعرض بعدما عَلَت راية الإسلام وقوي أتباعه واشتدت شوكته لأذى من أعراب لا يملكون من حطام الدنيا شيئاً، فهذه كلها صور من صور الابتلاء مهما تعددت مصادرها واختلفت مشاربها؛ فعلى الداعية أن يصبر على أنواع الأذى كلها ويتحمل استهزاء المدعوين وتضجرهم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان].

٧ ـ **على الداعية أن يتواضع دائماً**: والتواضع مطلب مُلِحٌّ للداعية في سبيل الله، عليه ألاّ يعامل الناس من فوقية ولا يحتقرهم لقلة علمهم وعظم جهلهم، فالكبرياء رداء والعظمة إزار لا يحلان لغير الله فمن نازع فيهما ربه استحق عذابه ووعيده، وكلما تواضع الداعية كان أدعى

لقبول دعوته وتأثيره في الناس في منهجه وسلوكه، ومن تواضع لله رفعه.

٨ - على الداعية ألاّ ينتصر لنفسه: على الداعية ألاّ يشغل نفسه بالرد على من انتقده أو خطّأ عمله، وعليه أن يثق أن الله سيدافع عنه قال الله - تعالى -: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ﴾ [الحج: ٣٨]، إن الداعية معرّض لأذى الناس وغيبتهم وحسدهم وغيرتهم وهذا أمر لابد منه، فإذا تفرغ الداعية للدفاع عن نفسه وتبرير ساحته من لجج خصومه فقد أضاع وقته ونقص بين الناس قدره، وعليه أن يثق بأن الله سيخزي خصومه ويفضح أعداءه قال الله - تعالى -: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر]، قال ابن كثير - رحمه الله - : «المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم كان ذلك في حضرتهم أو غيبتهم أو بعد موتهم كما فعل الله بقتلة يحيى وزكريا. . . إلخ».

وعلى الداعية أن يثق بالله، فمن أوذي في الله فالله لن يخذله، ويستثنى من ذلك الرد على من انتقده إذا كان دفاعه عن مبادىء شرعية وأحكام دينية فانتقده خصومه وأظهروا الخلاف بغير قوله؛ مع أن الحق معه، فيجب عليه حينئذ أن يبينها فهذا أمر لا بد منه لكن بشرط الابتعاد عن الانتصار للنفس والغضب لها وتجنب الكلمات التي لا فائدة منها ولا طائل من ورائها.

٩ - على الداعية أن يصبر؛ فلا يفُت عزمه تأخر ثمرة دعوته أو ابتلاء تعرض له، فهو معرض للابتلاء والأذى أكثر من غيره قال الله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام].

وعلى الداعية ألا يحزن مما يلقاه قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر]، وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان]، وهذا لا يعني أن الداعية يقع في مواطن الفتن ويبحث عن أماكن المحن ويعرض نفسه للابتلاء ظناً منه أن دعوته لا تصح إلا بهذا، فعليه ألا يتمنى لقاء العدو، ويسأل الله العافية، ولذا صح عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: **«لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه. قالوا: وكيف يذل نفسه يارسول الله؟ قال: يتحمل من البلاء ما لا يطيقه»**[١]، وقال ﷺ: **«لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا»**[٢].

١٠ ـ **على الداعية أن يراعي أحوال المدعوين والمخاطبين**: وقد اختار الله الأنبياء من أقوامهم بل من أحسابهم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ...﴾، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ...﴾، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ ...﴾ [الشعراء]، كذلك أيدهم بمعجزات تناسب ما عرف به أقوامهم وتمايزوا به على غيرهم، فميّز الأنبياء بمعجزات ودلائل نبوات فعلموا بأنها ليست من صنع البشر ولو كانت كذلك ما ميّزهم فيها أحد؛ فقوم عيسى اشتهروا بالطب فكانت معجزته بالطب إحياء الأموات، وقريش اشتهرت بالفصاحة والبيان، فكانت المعجزة الكبرى الخالدة لمحمد

---

(١) أخرجهُ ابن ماجه وحسنه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٥٩.
(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد باب ـ لا تمنوا لقاء العدو ٣٠٢٥.

ـ ﷺ ـ القرآن الكريم، لذا أرشد الله إلى مراعاة أحوال المخاطبين وذكر أساليب الدعوة قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وهذا دليل على مراعاة أحوال المدعوين، لذا فسرها ابن القيم في التفسير القيم فقال: جعل الله مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق:

أ ـ المستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة.

ب ـ القابل ولكن عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرونان بالترغيب والترهيب.

جـ ـ المعاند الجاهل يجادل بالتي هي أحسن.

إن الداعية إنسان رحيم عليه مراعاة أحوال المخاطبين وظروفهم النفسية والاجتماعية وأوقاتهم، فإن الإنسان قد يقبل الدعوة في وقت ويرفضها في وقت آخر، ولا يكون الهدف فقط الإبلاغ وإقامة الحجة دون الحرص على الاستجابة، فإن حصلت مع إقامة الحجة الاستجابة فهذا هو المراد وإن لم تحصل الاستجابة وقامت الحجة فقد برئت الذمة.

١١ ـ **أن يأتي الناس في مجالسهم وأماكنهم**: إن الداعية مطالب بهداية الناس، وهذا يستلزم منه أن يغشاهم في أماكن تجمعاتهم ومساكنهم ومقار أعمالهم وفي مخيماتهم واستراحاتهم ومتنزهاتهم ونحوها.

كما كان النبي ـ ﷺ ـ يفعل ذلك، حيث كان كلما وجد جمعاً دعاهم وأرشدهم إلى ما فيه صالحهم.

إنّ الحرج المفتعل والذعر والخوف والحياء الممجوج زي لا يليق بالداعية لبسه.

إنّ الناس في مجملهم وعمومهم لن يبحثوا عن الداعية إن لم يبحث عنهم، فزيارة الناس في أماكنهم من أنجح الأساليب الدعوية وأقواها تأثيراً وأقربها لمنهج النبوة، كما أنّ قصر الدعوة على المساجد يعني قصرها على أهل الخير والصلاح، وهذا لا ينبغي وفيه بُعْدٌ عن المنهج النبوي فقد كان - ﷺ - يعظ في المساجد والبيوت، والأسواق، والأماكن جميعها، إن على الداعية الإفادة من كافة الوسائل المتاحة للدعوة مثل:

الخطب والمواعظ والأشرطة والكتب وجميع وسائل التقانة[١] الحديثة كالشبكة العالميّة للاتصالات والحاسب الآلي. والرسائل الشخصية والاتصالات الهاتفية. والمقالات.

وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة... مع أخذ الحيطة والحذر عند وجود بعض المحاذير في وسائل الإعلام فدرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

١٢ - أن يحذر من التعصب لفكرة أو مذهب أو جماعة معينة: وينتصر لها على حساب الحق، وليكن همه إرضاء الله - عز وجل - ولن يتأتى ذلك إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف؛ فإن التعصب ممقوت بكل صوره ويزعزع ثقة المسلمين ببعضهم ويضعف الصف الإسلامي.

---

(١) وهي أصح من كلمة التقنية.

١٣ ـ أن يستثمر المواقف: الداعية رجلٌ لبيب عاقل يستطيع استثمار المواقف لخدمة دعوته وخاصةً المواقف المؤثرة التي تلين لها القلوب وتتواضع عندها النفوس كحالات الموت والمرض؛ لذا كان الرسول ـ ﷺ ـ حريصاً على استثمار مثل هذه المواقف، فزار غلاماً يهودياً عند مرض موته فدعاه للإسلام، فَلانَ قلبه وتأثر والده، ثم أسلم الغلام، فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ، وقال: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار بي**»[(١)]، وكان يعظ في المقبرة لما يصيب الناس من خشوع ولين قلوب عند الوفيات ولذا بَوَّب البخاري ـ رحمه الله ـ في جامعه الصحيح (باب: الموعظة عند القبر)[(٢)].

١٤ ـ حسن القدوة والتعامل: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

إن الداعيه يجب عليه أن يكون قدوة حسنة في تعامله وسلوكه فإن ذلك أرجى لقبول دعوته، فكم من ضالٍ دخل الإسلام جراء معاملة حسنة عامله بها داعية!، وفي بطون الكتب سير وأخبار من دخلوا الإسلام بسبب حسن تعامل أهل الإسلام معهم، خاصةً في آسيا وأفريقيا الذين أحسن التجار المسلمون التعامل معهم، فعلى الداعية أن يقتدي بأسلافه حتى تؤتي دعوته ـ بإذن الله ـ ثمارها ويناله خيرها.

---

(١) البخاري ـ كتاب الجنائز ـ باب إذا أسلم الصبي فمات... حديث (١٣٥٦).

(٢) البخاري ـ كتاب الجنائز ـ (٢٣) باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله حديث (١٣٦٢).

اقــرأ التــاريــخ إذ فيــه العبــر ضــل قــوم ليــس يــدرون الخبــر

١٥ ـ **أن يعرف فقه الخلاف**: على الداعية أن يعلم أن الخلاف في العقيدة غير معروف عند أهل السنة والجماعة إلا في مسائل يسيرة لا تؤثر على سلامة الاعتقاد لقوة الأدلة فيها كمسألة: هل رأى الرسول ـ ﷺ ـ ربه حينما عرج به أو لا؟.

أما مسائل الفروع فإنّ الخلاف فيها قوي وكثير ومشتهر بين الفقهاء، والتمسوا العــــذر لمن خالف الصواب بل رجوا له الأجر على اجتهاده، فعلى الداعيــــة أن يراعي ذلك ويلتزم آداب الخلاف عند المناقشة والمناظرة والمحاورة، وأن تكون قاعدته كقاعدة الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ «قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب» فقلَّ من يتأثر به لبعده عن العدل والإنصاف.

إن على الداعية البعد عن الشدة والحدة والغلظة مع مخالفيه حتى يكون ذلك أدعى لقبول دعوته[1].

١٦ ـ **فقه الأولويّات**: على الداعية أن يبدأ بالأهم فالمهم، فهذا هو منهج الرسول ـ ﷺ ـ وصحابته، فعندما أرسل معاذاً إلى اليمن أمره أن يدعو إلى التوحيد ثم الصلاة ثم الزكاة. . . .[2] إلى غير ذلك.

إن الداعية مطالب بتصحيح عقائد الناس أولاً، فمن عنده شرك

---

(١) مع قوله بما يترجح لديه في المسائل الخلافية، لأن الواجب اتباع ما دل عليه الدليل. ووجود الخلاف لا يعني أن الإنسان مخير في أن يختار من المذاهب ماشاء أو ما يروق له. [المحمود].

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب الزكاة ـ باب وجوب الزكاة حديث (١٣٩٥).

ومعصية كبيرة كانت أو صغيره فعليه أن يبدأ بتصحيح عقيدته، وإن من قلة فقه الرجل أن ينهى أحداً عن شرب الدخان وهو مولع بعبادة القبور، والطواف حولها والنذر لها، ومثله من ينصح رجلاً عن حلق لحيته مع أنه هاجرٌ للجمعة والجماعات لا يؤدي الصلوات، وبعد تصحيح عقائد الناس يبدأ بالتحذير من المعاصي على حسب عظمها؛ فأكل الربا أخطر من شرب الدخان ولا يعني هذا احتقار هذه الذنوب، بل المقصود السير على المنهج النبوي الكريم، وهو مايسمى بفقه الأولويات[١][٢].

* * *

(١) للزيادة في هذا الموضوع يرجع إلى مجلة البيان عدد (٩٧) من ص ٩٤ إلى ١٠٣. مقال بعنوان فقه مراتب الأعمال.

(٢) مع ملاحظة أن هذا لا يعني ما يزعمه البعض من أنه يجب البدء في العقيدة وترك ما سواها، ثم الانتقال إلى الأحكام الشرعية كالصلاة والزكاة والصوم وتحريم المحرمات كالزنا وشرب الخمر، فهذا خطأ؛ لأن الدين كامل، وأبو بكر قاتل من فرق بين الصلاة والزكاة، والكافر إذا أسلم نعلمه الصلاة ونأمره بها، ونبيّن له الحلال والحرام.
ولذا أقول: التركيز على الصلاة بالنسبة لتاركها الحالق لحيته جيد، ولكن لا يعني عدم تنبيهه إلى اللحية ودعوته إلى إعفائها، وهكذا. [المحمود].

فضـــل العلـــم

تمهيد:

يجب على المسلم أن يعلم أن العلم إذا أطلق وجاءت النصوص الشرعية في بيان فضله فهو العلم الشرعيّ فتخرج بذلك العلوم الأخرى جميعها[١]، قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح: «والمُراد بالعلم الشرعيّ الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص ومدار ذلك علم التفسير والحديث والفقه»[٢]، ومن أدلة فضل العلم:

من كتاب الله:

١ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر].

٢ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١].

٣ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٨].

---

(١) ولا يعني هذا أن العلوم الأخرى النافعة غير مطلوبة، بل هي مطلوبة لحاجة الأمة إليها، وأصحابها يثابون عليها إذا صحب علمهم وعملهم بها النية الصالحة وخدمة أمتهم الإسلامية واستغناؤها عن أعدائها الكفار. [المحمود].

(٢) فتح الباري ١/ ١٤١.

من السنة:

١ ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ: «إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا إلى السماء الدنيا من حبهم لما يطلب»(١).

٢ ـ وقوله ـ ﷺ ـ: «ما من رجل يسلك طريقاً يلتمس فيه علماً إلا سهل الله له طريقاً إلى الجنة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه»(٢).

٣ ـ وقوله ـ ﷺ ـ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٣).

٤ ـ وقوله ـ ﷺ ـ: «فضل العلم خير من فضل العبادة، وملاك الدين الورع»(٤).

٥ ـ وقوله ـ ﷺ ـ: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً ويعلمه كان له أجر معتمر تام العمرة، فمن راح إلى المسجد لا يريد إلا

---

(١) حيث قال المنذري: «رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد، واللفظ له، وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وروى ابن ماجه نحوه باختصار». مختصر الترغيب والترهيب، فضل الرحلة في العلم رقم الحديث (٤٠)،، ورواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم بزيادة في أوله وآخره، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث (٣٨)، وأخرجه أبو داود بهذا اللفظ كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم رقم الحديث (٣٦٤٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم (١٦٣١).

(٤) رواه البزار بإسناد حسن والطبراني في الأوسط، وأخرجه الحاكم بلفظ: (وخير دينكم الورع) كتاب العلم رقم (٣١٤)، وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني رحمه الله ـ في صحيح الجامع «٤٢١٤».

ليتعلم خيراً أو يعلمه فله أجر حاج تام الحجة»[1].

آثار عن السلف في فضل العلم:

ـ قال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: «به توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، وهو إمام، والعمل به تابع، ويلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء».

ـ قال الإمام أحمد بن حنبل: «الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته للعلم بعدد أنفاسه».

ـ قال ابن أبي حاتم: «سمعت المزني يقول للشافعي: كيف شهوتك للعلم؟ قال: أسمع بالحرف أو بالكلمة مما لم أسمعه فتود أعضائي لو أن لها أسماعاً تتنعم به مثل ما تنعمت به الأذنان. فقيل له: كيف حرصك على العلم؟ قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال. فقيل له: كيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره».

أمور يجب على طالب العلم مراعاتها:

١ ـ الإخــلاص:

لابد لطالب العلم أن يخلص لله في طلبه العلم، فقد صح عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: **«من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا**

---

(١) أخرجه الحاكم كتاب العلم رقمه (٣١١) وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي ورواه الطبراني بلفظ: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حاج تاماً حاجته» وهو في صحيح الترغيب رقم ٨٦، وقال: حسن صحيح.

ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[١]. وقال ـ ﷺ ـ: «أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة ـ وذكر منهم ـ عالماً أراد بعلمه ثناء الناس ومدحهم. .»[٢].

وقال ـ ﷺ ـ: «من طلب العلم ليماري به السفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار»[٣].

٢ ـ العمل بالعلم:

على العالم أن يعمل بما يعلم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [الصف]، وقال سبحانه على لسان شعيب ـ عليه السلام ـ ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨]. وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: «هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»[٤].

٣ ـ ألاّ يتسرع في الفتيا:

على العلماء وطلاب العلم ألا يجيبوا الناس إلا على ما يعلمون،

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب العلم باب في طلب العلم لغير الله تعالى حديث (٣٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة باب (٢٣) حديث (٢٥٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة، وذكره الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، كتاب العلم حديث (١/٢٨٨).

(٢) راجع الحديث بطوله عند مسلم من حديث أبي هريرة، كتاب الإمارة باب من قاتل رياء وسمعة رقم (١٩٠٥)، أخرجه الترمذي حديث (٢٦٥٤) في أبواب العلم، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه ابن ماجه وقال عنه الألباني في صحيح ابن ماجه في المقدمة باب (٢٣) رقم الحديث (٢٠٧) حديث حسن.

(٤) إقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي بتحقيق الألباني ـ رحمه الله ـ.

وعليهم ألا يتحرجوا أن يقولوا: لا نعلم، فهذا ديدن السلف الصالح ومنهجهم، فعن ابن مسعود أنه قال: «أيها الناس من سئل عن علم يعلمه فليقل به، ومن لم يكن عنده علم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، إن الله ـ تبارك وتعالى ـ قال لنبيه ـ ﷺ ـ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [ص]، وفي رواية أن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به: الله أعلم»[١]. وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فيما رواه عنه الدارمي: «إن من يفتي الناس في كل ما يستفتونه إنه لمجنون»، زاد ابن عبدالبر قال الأعمش: «فذكرت ذلك للحكم بن عتيبة فقال: لو سمعت هذا منك قبل اليوم ما كنت أفتي في كل ما أفتي»[٢].

وأخرج الدارمي عن علي أنه قال: «إذا سئلتم عما لا تعلمون فاهربوا، قالوا: وكيف الهرب يا أمير المؤمنين؟ قال: تقولون: الله أعلم».

وروى ابن عبدالبر عن مجاهد قال: سئل ابن عمر عن فريضة من الصلب؛ فقال: لا أدري. فقيل له: ما يمنعك أن تجيبه؟ فقال: سئل ابن عمر عما لا يدري فقال: لا أدري»[٣].

وروى ابن عبدالبر أيضاً عن عقبة بن مسلم قال: «صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً فكان كثيراً ما يُسأل فيقول: لا أدري. ثم يلتفت إليّ

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبدالبر ٢/٥٢.
(٢) المرجع السابق ٢/٥٥.
(٣) المرجع السابق ٢/٥٣

فيقول: أتدري ما يقول هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً إلى جهنم»[١].

وروى ابن عبدالبر أيضاً عن حماد بن زيد عن أيوب قال: «تكاثروا على القاسم بن محمد يوماً بمنى فجعلوا يسألونه فيقول: لا أدري. ثم قال: إنا والله ما نعلم كل ما تسألونا عنه، ولو علمنا ما كتمناكم، ولا حل لنا أن نكتمكم»[٢].

٤ ـ الرجوع عن الفتيا الخاطئة:

على طالب العلم أن يعلم أنه مُوَقِّعٌ عن رب العالمين في فتياه، لذا ألف ابن القيم رحمه الله كتاباً أسماه: إعلام الموقعين عن رب العالمين. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف].

فعلى العالم وطالب العلم أن يتراجع عن فتياه طالما بان له خطؤه وظهر الحق في خلاف قوله.

وقد أثر عن السلف تراجعهم عن فتياهم فقد ذكر ابن عبدالبر عن سفيان قال: اختلف ابن عباس وزيد في الحائض تنفر، فقال زيد: لا تنفر حتى يكون آخر عهدها الطواف بالبيت، فقال ابن عباس لزيد: سل نسياتك[٣] أم سليمان وصويحباتها. فذهب زيد فسألهن ثم جاء وهو

---

(١) جامع بيان العلم ٢/٥٤.
(٢) جامع بيان العلم ٢/٥٤.
(٣) أي زوجاتك وقريباتك.

يضحك فقال: القول ما قلتَ.

وذكر ابن كثير في تفسيره بسند جيد أن عمر تراجع عن تحديد المهور بعدما قالت له المرأة: يعطينا الله وتمنعنا يا عمر. مستدلة بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا .. ﴾ [النساء: ١٨]، فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر[١].

٥ ـ اتباع السنة ونبذ التقليد:

على طالب العلم أن يكون همه اتباع المنهج النبوي وعدم التعصب لعالم أو مؤلف أو مذهب قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [القصص] ولم يقل ماذا أجبتم فلاناً أو علاناً إذا كان قولهم مخالفاً لقول الله ورسوله؟ وعليه ألاّ يكون شعاره شعار الجاهلي:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وقد كثر التعصب المذهبي مع أن الحق في بعض المسائل مخالفٌ لمذهب المخالف لصراحة الأدلة، ومن أجل هذا تبرأ الأئمة من مقلديهم وبينوا أن الحق غايتهم والحديث هو مذهبهم ورضى الله غايتهم ومطلبهم وإليك ما أثر عنهم:

---

(١) قال ابن كثير إسناده جيد وقوي عند تفسيره لآية ١٨، ١٩ من سورة النساء، وقد ضعف الألباني في إرواء الغليل هذه الحادثة من جميع طرقها والله أعلم.

١ـ أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: روى عنه أصحابه أقوالاً شتى كلها تدعو إلى الأخذ بالحديث وترك التقليد، قال ـ رحمه الله ـ: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»[١]. وقال: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه»[٢].

وفي رواية: «حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي»[٣].

وفي رواية: «ويحك يا يعقوب (وهو أبويوسف صاحبه) لا تكتب كل ما تسمع مني فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غداً، وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غد»[٤].

وقال ـ رحمه الله ـ: «إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله وخبر الرسول ـ ﷺ ـ فاتركوا قولي»[٥].

٢ـ مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ: أثر عنه أنه قال: «إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[٦]. وقال أيضاً: «ليس أحد بعد النبي ـ ﷺ ـ إلا ويؤخذ من قوله ويترك»[٧].

---

(١) ذكره ابن عابدين في الحاشية ١٠/٦٣.
(٢) ذكره ابن عبدالبر في الانتقاء ص ١٤٥ وابن القيم في الإعلام ٢/٣٠٩.
(٣) ذكره ابن عبدالبر في الانتقاء ص ١٤٥ وابن القيم في الإعلام ٢/٣٠٩.
(٤) ذكره ابن عبدالبر في الانتقاء ص١٤٥، وابن القيم في الإعلام ٢/٣٠٩.
(٥) النافع الكبير لأبي الحسنات ص١٣٥.
(٦) ذكره ابن حزم في أصول الأحكام ٦/١٤٩.
(٧) ذكره ابن عبدالهادي في إرشاد السالك ـ ٢/٢٧٧ ـ.

٣ـ الشافعي ـ رحمه الله ـ: قال: «ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة للرسول ـ ﷺ ـ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله ـ ﷺ ـ خلاف ما قلت؛ فالقول ما قاله رسول الله ـ ﷺ ـ وهو قولي ودعوا ما قلت». وفي رواية: «فاتبعوها ولا تلتفتوا إلى قول أحد»[١]. وقال أيضاً: «كل ما قلت فكان عن النبي ـ ﷺ ـ خلاف قولي بما يصح فحديث رسول الله ـ ﷺ ـ أولى فلا تقلدوني»[٢].

٤ـ أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: أثر عنه أنه قال: «لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا»[٣].

وفي رواية: لا تقلد في دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد فالرجل فيه مخير»[٤]. وقال أيضاً: «رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء وإنما الحجة في الآثار»[٥]. وقال أيضاً: «من رد حديثاً لرسول الله ـ ﷺ ـ فهو على شفا هلكة»[٦].

---

(١) الهروي في ذم الكلام ٣/٤٧، النووي في المجموع ١/٦٣، الإيقاظ ص١٠٠.
(٢) رواه ابن أبي حاتم في الأدب ص٩٣، وابن عساكر ١٠/١٥٢.
(٣) ذكره ابن القيم في الإعلام ٢/٣٠٢، والغلاني ١١٣.
(٤) ذكره أبو داود في مسائل الإمام أحمد ص٢٧٦، ٢٧٧.
(٥) ذكره ابن عبدالبر في الجامع ٢/١٤٩.
(٦) ذكره ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ ١٨٢.

فإذا كان هذا منهج أئمة المذاهب فعليك ألا تكون مخالفاً لهم، ولكن هذا لا يعني عدم الإفادة من أقوالهم وأخذ ما هو أحظى بالدليل منها من أقوالهم فالمسألة لا إفراط ولا تفريط.

آداب ينبغي على طالب العلم أن يتحلى بها:

١ـ التواضع.

٢ـ تزكية علمه ببذله للناس.

٣ ـ الصمت والحلم.

٤ ـ البعد عن طلب الرئاسة والصدارة.

وفي الباب أشياء كثيرة نعرض عنها خشية الإطالة وللمزيد اقرأ:

١ ـ اختلاف العلماء. للآجري.

٢ ـ جامع بيان العلم وفضله. لابن عبدالبر.

٣ ـ إعلام الموقعين. لابن القيم.

٤ ـ اقتضاء العلم العمل. للخطيب البغدادي ـ تحقيق الألباني.

٥ ـ الآداب الشرعية. لابن مفلح.

٦ ـ تغليظ الملام. لحمود التويجري.

٧ ـ حلية طالب العلم. لبكر أبوزيد.

مقدمة في علم التفسير

قبل الحديث عن علم التفسير، لابد من الإشارة إلى القرآن الكريم وفضله والكتب السماوية السابقة وما يتعلق بها.

أولاً: القرآن، تعريفه:

«القرآن العظيم هو كلام الله المنزل على رسوله ـ ﷺ ـ عن طريق جبريل الأمين المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر المعجز بألفاظه وآياته»، وهو الناقل ـ بحمد الله وفضله ـ البشرية من الظلمات إلى النور، وهو كلام الله منزل غير مخلوق قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ولقد اهتمت الأمة الإسلامية بهذا الكتاب العظيم، الذي هو الغصة في حلوق الكافرين الفاضح للمنافقين والمجرمين، وتعهدته تلاوة وحفظاً وعملاً، وقد تكفل الله بحفظه فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر]، فعلى المسلم أن يتدبر هذا القرآن العظيم عند التلاوة فلا يتجاوز آية إلا بعد أن يعقل معناها ويعمل بمقتضاها قال الله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]، قال ابن مسعود: «لا تنثروه نثر الدقل، ولا تهذّوه هذّ الشعر، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة»، لقد فهم السلف الصالح قيمة القرآن فعكفوا على تدبره، وكان أصحاب محمد ـ ﷺ ـ لا يتجاوزون عشر آيات حتى يحفظوها ويعملوا بها قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]، ذكر صاحب تاريخ بغداد أن أبا حنيفة قام ليلة يتلو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر].

ومن هنا وجب على هذه الأمة التمسك بهذا الأصل العظيم ومعرفة فضله والعمل به، وتلاوته وعدم هجره.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التمسك بهذا الكتاب تلزم منه أمور عظيمة من أهمها حفظــه:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ . . . ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وفي الحديث القدسي الذي يرويه الرسول ـ ﷺ ـ: **«إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان»**[١].

قال النووي: «أي محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مّر الأزمان»[٢] انتهى، لذا كان منهج سلف هذه الأمة حفظه. وهنا أمور هامة:

حفظه يسير على الناس كلهم:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر]،

---

(١) رواه مسلم مطولاً، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٧١٣٦).

(٢) النووي شرح مسلم ١٧/١٩٥ كتاب الجنة شرح الحديث (٧١٣٦).

قال القرطبي في تفسيره: «أي سهلناه للحفظ، وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟»[١].

فضل حفظ القرآن الكريم:

١ - التأسي بالنبي - ﷺ -: قال الله - تعالى -: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب]، حيث كان الرسول - ﷺ - يحفظه ويعرضه على جبريل ويعرضه أصحابه عليه[٢].

٢ - حملته هم أهل الله: أخرج ابن ماجه عن أنس عن النبي - ﷺ - أنه قال: «**إن لله أهلين من الناس**» قالوا: يارسول الله من هم؟ قال: «**هم أهل القرآن أهل الله وخاصته**»[٣].

وأخرج أبو داود عن أبي موسى الأشعري عن النبي - ﷺ - أنه قال: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»[٤].

٣ - حافظ القرآن أولى أن يغبط: يُعَدُّ القرآن مصدراً للعلم والرفعة يقول الله - تعالى -: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ

---

(١) تفسير القرطبي ٨٧/١٧.

(٢) البخاري رقم ٦، ومسلم (٨٠٣٢).

(٣) رواه ابن ماجه، المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلّمه (١٦) حديث رقم (٢١٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (٢٣) حديث رقم (٤٨٤٣)، وقد حسنه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع ٢١٩٥.

﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء]، فحامل القرآن قد فضله الله حيث صح عن النبي ـ ﷺ ـ فيما رواه عمران: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين**»(١)، لذا فحري بصاحب القرآن أن يُغبط بما فضله الله به، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن وقام به آناء الليل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار**»(٢).

٤ ـ **عظم الأجر المترتب على حفظه وتلاوته**: الناس يفرحون بالدراهم والدنانير، وحفظة القرآن وحملته يظفرون بخير من ذلك وأبقى، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟ قلنا: نعم، قال: فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان**»(٣).

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ـ ﷺ ـ ونحن في الصُّفَّة فقال: «**أيكم يُحِبُ أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ فقلنا:**

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه...، حديث رقم (٢٦٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم، البخاري في كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، حديث رقم (٧٣)، ورواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه... حديث رقم (٢٦٦).

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، حديث رقم (٨٠٢).

يا رسول الله نحب ذلك، فقال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله - عز وجل - خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل»[١]، وعن جابر - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق[٢]، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله وراء ظهره ساقه إلى النار»[٣].

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يارب حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقال: اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة»[٤]، قال ابن حجر الهيثمي: «والخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب لا بمن يقرأ من المصحف؛ لأن مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها ولا يتفاوتون قلة وكثرة، وإنما الذي يتفاوتون فيه هو الحفظ عن ظهر قلب»، ثم قال - رحمه الله -: «وقول الملائكة: اقرأ وارق صريح في حفظه عن ظهر قلب كما لا يخفى»[٥].

---

(١) رواه مسلم، باب فضل قراءة القرآن... حديث رقم (٨٠٣).

(٢) أي: يدافع ويجادل، النهاية في غريب الحديث ٢٥٩/٤.

(٣) رواه ابن حبان. وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٤٤٤٣).

(٤) رواه الترمذي في كتاب فضل القرآن رقم (٢٩١٥)، والدارمي فضائل القرآن رقم (٣٣١١). وحسنه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع «٨٠٣٠».

(٥) الفتاوي الحديثية، قلت والمسألة على خلاف بين أهل العلم، ومن أراد المزيد فليرجع إلى البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤٦١/١ والأذكار للنووي.

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[١]، [٢].

الإيمان بالكتب المنزلة السابقة[٣]:

---

(١) رواه الترمذي كتاب الفضائل برقم (٢٩١٠). وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الجامع «٦٤٦٩».

(٢) ومن أراد المزيد فليرجع إلى التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ـ رحمه الله ـ ولكتاب الشيخ محمد الدويش ـ حفظه الله ـ «حفظ القرآن الكريم».

(٣) **تُقسم أسفارهم إلى قسمين:**

١ ـ العهد القديم ويدّعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام، ويشمل أسفار موسى الخمسة (سفر التكوين، سفر الخروج، سفر العدد، سفر اللاويين، سفر التثنية) ومجموع هذه الكتب الخمسة يطلق عليها لفظ التوراة.

٢ ـ العهد الجديد: ويدّعون أنه كتب بالإلهام بواسطة رسل المسيح بعد رفعه ويشمل الأناجيل الأربعة (إنجيل متى، لوقا، يوحنا، مرقس). ومعنى الإنجيل: البشارة والتعليم.

وهذه الأناجيل الأربعة اختارتها الكنيسة من بين سبعين إنجيلاً وُجدت بعد رفع المسيح عليه السلام بفترة طويلة، ولا يوجد سند متصل لأي سفر من أسفار العهدين.

الحكم على هذه الكتب:

١ ـ إشار القرآن الكريم إلى تحريف أهل الكتاب، وأنهم قاموا بإخفاء الكثير مما جاء في كتبهم، كما أشار إلى أن فريقاً منهم قد كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم ينسبونه إلى الله تعالى، وأن فريقاً منهم قد نسوا حظاً مما ذكروا به.

٢ ـ واقع هذه الكتب يشهد بتحريفها ونمثل على كُتب العهد القديم والعهد الجديد:

أ ـ الاختلاف والأغلاط في الكتب مثل ما ورد في سفر التكوين في موضع أن الله أمر نوح أن يأخذ معه في السفينة من كل زوج اثنين، وفي موضع آخر تأخذ معك سبعة سبعة.

ب ـ ما جاء فيها من وصف الله بما لا يليق:

مثل: إن الله خلق السماوات في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع.

مثل: إن آدم نُهي عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر لئلا يموت وأنه بعد أكله اختبأ وأخذ الله يناديه: أين أنت؟

١ ـ التعريف بها: هي الكُتب التي أنزلها الله ـ عز وجل ـ على رسله رحمة للخلق وهداية لهم، ومنها الكتب التي أنزلت على رسل الله موسى وعيسى وزبرُ داوود وصحفُ إبراهيم ـ عليهم السلام ـ وهي التوراة والإنجيل والزبور والصُحف.

٢ ـ حكم الإيمان بها: هو ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان بشر بدونه، فلا بد من التصديق الجازم بأن لله ـ تعالى ـ كتباً أنزلها على رسله بالحق المبين والهدي المستبين وأنها كلام الله ـ عز وجل ـ تكلم بها حقيقة. قال ـ تعالى ـ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ . . .﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ

= جـ ـ طعنهم في الأنبياء، مثل: أن ابنتي لوط عليه السلام قد سقتا أباهما الخمر لتتمكنا من النوم معه!؟
ـ أن هارون عليه السلام هو الذي صنع العجل.
ـ أن سليمان عليه السلام ختم عمره بعبادة الأصنام.
التحريف في كتب العهد الجديد:
ـ وجود أربعة أناجيل، والمنزّل على عيسى عليه السلام واحدٌ.
ـ اختيار أربعة من بين سبعين إنجيلاً، وهذه الأناجيل لم يملها المسيح ولم تنزل عليه بوحي ولكنها كتبت بعده وفيها ما يُقطع بكذبه وتحريفه لمعارضة ما جاء في القرآن كقضية صلب المسيح وموته.
ـ امتلأت كتبهم بالتحريف التاريخي والزيادة والنقصان، وقد لعبت بها الأيدي وبهذا أصبح دين المسيح مركب من دين الفلاسفة وعباد الأصنام، ونقلوا الأمم من عبادة الأصنام إلى عبادة الصور، ثم استحلوا الخنزير وأحلوا السبت، وقامت المجامع النصرانية في التلاعب بدين النصارى، مثل: اتفاقهم على ألوهية المسيح، إحراق الكتب التي تخالف آرائهم.
ـ وجود بشارة بالنبي محمد ﷺ في كتبهم مثل: «أُقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك».
ـ «جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلى من جبال فاران». وفاران: مكة.
للمزيد انظر: الفتاوى لابن تيمية ١٣/١٠٤، فتح الباري ١٣/٥٢٢، الفصل لابن حزم ١/٢٠١، ٢/٢٧، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٩٧ ٢/٤٢٠، ٣/٩.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ. . . ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣ ـ ويجب على المسلم أن يعتقد أن هذه الكتب منسوخة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ أي حاكماً عليها، وعليه أن يعتقد أنَّ هذه الكتب محرفة ومغيرة ومبدلة وأصحابها من أهل الكتاب اشتروا بها ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون، وعلامات تحريفها ودلائله لا تعد؛ منها:

١ ـ اشتمال هذه الكتب على ما لا يجوز وَصْفُ الله به ولا أنبيائه ولا أوليائه.

٢ ـ انقطاع أسانيدها بل ليست لها أسانيد.

٣ ـ اختلاطها بكلام المترجمين والمؤرخين والمفسرين.

٤ ـ تناقضها الواضح في أخبارها وأحكامها مما يقطع به أنها في حالتها ليست من عند الله. وما وافق الحق في كتبهم وسلم من التغيير فهو منسوخ بالقرآن العظيم.

* * *

ثانياً: التفسير:

لغة: الكشف والإيضاح، واصطلاحاً: علم يفهم به كتاب الله ـ عز وجل ـ المنزل على نبيه ـ ﷺ ـ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.

أهمية علم التفسير: لقد تعبد اللهُ الخلقَ بالقرآن، ويتضمن القرآن عقائدَ وأحكاماً وأخلاقاً لا يمكن معرفة أكثرها إلا عن طريق علم التفسير وذلك لأمور:

١ ـ أن القرآن في أعلى درجات البلاغة، يجمع المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهذا يحتاج إلى بسط ما أوجز والكشف عما أجمل.

٢ ـ أن القرآن يشتمل على مقاصد غير المعاني الظاهرة فيحتاج ذلك إلى ما يبينها.

٣ ـ أن بعض الآيات قد نزلت لأسباب لا يمكن معرفة معنى الآية إلاّ إذا عرف سبب نزولها، قال ابن دقيق العيد ـ رحمه الله ـ: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معنى القرآن». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «معرفة سبب النزول يعين في فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب».

٤ ـ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «الذي يقرأ القرآن ولا يفسر كالأعرابي الذي يهذي بالشعر». وقال مجاهد بن جبر ـ رحمه الله ـ: «أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل».

نشأة علم التفسير:

١ ـ كان القوم في زمن النبي ـ ﷺ ـ عرباً خُلصاً يفهمون القرآن بمقتضى السليقة، غير أن القرآن يعلو على سائر كلام العرب بألفاظه وأساليبه اللغوية والبلاغية فضلاً عن معانيه، ولذا فقد كانوا يتفاوتون في فهمه وإدراكه فكان بعضهم يفسر للآخر ما غمض عليه فإن أشكل عليهم لفظ أو معنى سألوا الرسول ـ ﷺ ـ فيبينه لهم. وقال بعض أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية:[١] «يجب أن يُعلم أن النبي ـ ﷺ ـ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن ألفاظه لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

٢ ـ التفسير في عهد الصحابة: لا يختلف عنه في زمن النبي ـ ﷺ ـ نظراً لقربهم من عهد النبوة ووجود شيوخ الصحابة وعلمائهم لذا ماز تفسيرهم بقلة الأخذ من الإسرائيليات حيث كانوا لا يتكلفون في التفسير، ولا يتعمقون فيه تعمقاً مذموماً بل يكتفون بالمعنى العام ولا يلتزمون بالتفصيل فيما لا فائدة كبيرة من تفصيله، ومع ذلك فقد كانوا أعلم الناس بتفسير القرآن وفهم معانيه، ويكفي في ذلك أنهم شاهدوا التنزيل وعاصروه.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص٢١ وقد رجح شيخنا محمد العثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للمقدمة هذا القول واستدل بقول الله تعالى: ﴿ثم إنا علينا بيانه﴾ شرح المقدمة ص٢١، وهذه المسألة فيها خلاف بين أهل العلم ليس هذا مجال بسطها ـ والله أعلم ـ.

٣ـ **التفسير في عهد التابعين**: تلقى التابعون التفسير عن الصحابة، ومع ذلك كانوا يتحرجون من التفسير كما تحرج الصحابة رضي الله عنهم، فسعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ كان إذا سُئِلَ عن تفسير آية سكت كأن لم يسمع، لذا اقتصر تفسيرهم على التفسير المأثور.

٤ ـ **التفسير في عهد التدوين**: مر بمراحل متعددة وإن كان غالب العلماء كانوا يضعونه في أبواب الحديث، وبدأ التغيير وظهر الخلط، حينما اتجه بعض المفسرين إلى اختصار بعض الأسانيد ونقل الآثار المروية عن السلف دون أن ينسبوها إلى قائليها فخلطوا الصحيح بالسقيم، ومن هذه الهفوة نفذ أعداء الملة من الزنادقة والمنحرفين ليضعوا ما لا يصح، ولكنّ الله هيأ علماء كشفوا الحق وأظهروه وعرفوا الباطل ونفوه، وكان من آثار هذه المرحلة ظهور التفسير بالرأي محمودِه ومذمومِه، وظهرت الجرأة بالقول على الله في القرآن بغير علم وظهر تعدد الأقوال الكثيرة في تفسير الآية الواحدة وظهرت الإسرائيليات بكثرة، ولكن وجد ـ والحمد لله ـ من أئمة الإسلام جمهرة من المحققين في علم التفسير، يمحصون ويحققون في هذه الروايات والأقوال.

أنواع التفسير: تفسير القرآن العظيم نوعان:

١ ـ **التفسير بالمأثور**: وهو يشتمل على ما جاء في تفسير القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن النبي ـ ﷺ ـ أو عن أصحابه من كل ماهو بَيَانُ إيضاحٍ لمراد الله ـ تعالى ـ في كتابه الكريم.

٢ ـ التفسير بالرأي: وينقسم إلى قسمين:

أ ـ محمود. ب ـ مذموم.

علماً بأن للقرآن أنواعاً من التفاسير منها: التفسير الفقهي، واللغوي، والعلميّ، والإشاريّ إلى غير ذلك من التفاسير التي ذم العلماء بعضها، لما فيها من تكلف، وليٍّ لأعناق الآيات، وحملها على ما لا يحتِمل، وإنزالِ الآيات في مواضع لا تليق بها ولا تستقيم لمن فسّرها.

طرائق تفسير القرآن الكريم:

أ ـ تفسير القرآن بالقرآن ويعد هذا النوع أفضل طرائق التفسير وأسلمها؛ فإن الآيات المجملة تأتي في مواضع أخرى مفصلة، كقصص الأنبياء وغيرهم، وقد تفسر الآية في السورة نفسها كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾ [الطارق]، حيث أوضح الله أن المراد بالطارق: النجم الثاقب، إلى غير ذلك.

ب ـ تفسير القرآن بسنة رسول الله ـ ﷺ ـ، فعلى المسلم أن يرجع لمعرفة تفسير الآية إلى كتاب الله فإن لم يجد فليبحث عنها في حديث رسول الله ـ ﷺ ـ، ومن أمثلة ذلك تفسير الرسول ـ ﷺ ـ الرباط بانتظار الصلاة بعد الصلاة[١]، وتفسير يوم الحج الأكبر بيوم النحر[٢]،

---

(١) مسلم (٢٥١).

(٢) البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).

وتفسيره القوة بالرمي...[1] إلخ.

جـ - فإن لم يجد في كتاب الله وسنة رسول الله - ﷺ - فلن يعدم أن يجد تفسيرها بأقوال الصحابه - رضي الله عنهم - خصوصاً وأن فيهم من دعا له الرسول - ﷺ - بالتأويل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مقدمته:

«إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علمائهم وكبرائهم»[2]، وقال الزركشي - رحمه الله -: «إن تفسيرهم بمنزلة المرفوع إلى النبي - ﷺ -؛ فإن فسروه من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسّروه بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه».

أبرز علماء التفسير؟

من الصحابة: علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وعبدالله بن عباس، وأُبَيّ بن كعب - رضي الله عنهُم -، ومن التابعين مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعطاء، وقتادة، وأبو العالية، وعامر الشعبي، ويأتي بعدهم شعبة بن الحجاج، وعبد بن حميد - رحمهم الله -.

أهم المؤلفات في التفسير المأثور.

١ - جامع البيان في تفسير القرآن، لمحمد بن جرير الطبري توفي

---

(١) مسلم (١٩١٧).

(٢) مقدمة التفسير مع شرحها للشيخ/ ابن عثيمين - رحمه الله - (١٢٩ - ١٣٠).

سنة ٣١٠هـ.

٢ ـ معالم التنزيل لأبي محمد بن حسين البغوي توفي سنة ٥١٦هـ.

٣ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير توفي سنة ٧٧٤هـ.

أمـــور مهمة حول التفسير:

١ ـ على طالب العلم أن يحرص على تفاسير السلف واتباعهم.

٢ ـ أن يبتعد عن التفاسير المشهورة والمعروفة بعقائدها المنحرفة كتفسير الكشاف للزمخشريّ الذي أبرز فيه مذهبه الاعتزالي والتخبطات التي تضع المبتدىء في طلب العلم في تيهٍ شديد، ومثله تفاسير الصوفية والرافضة والإباضية وغيرهم، كذلك الكتب التي عرفت بالتأويل والتحريف والإلحاد في أسماء الله وصفاته، وهذه توجد بكثرة في بعض التفاسير المعروفة وقد يكون صاحبها ذا علمٍ واسع ونية سليمة، ولكن تأثر في بيئته فغلب عليه المذهب الأشعريّ في تأويل بعض الصفات، وهذا لا يلغي تفسيره بالكلية فليؤخذ منه المفيد وليطـرح منـه ما خالف العقيدة كتفسير القرطبي وغيره، وهذا لمن ملك القـدرة على الممايـزة أمـا من لا يملك القدرة كالمبتدىء وغير المتخصص، فإن في تفاسير السلف غنية ولله الحمد.

❊ ❊ ❊

مقدمة في علم العقيدة

تعريف العقيدة:

لغةً: مأخوذة من عقد الحبل، وهو شد بعضه ببعض.

شرعاً: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه وأنه المستحق وحده ـ جل وعلا ـ أن يفرد بالعبادة وأنه المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل عيب ونقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ مع التزام ذلك والعمل به.

أهميتهـــــا:

١ ـ أنها الأساس السليم للمجتمع الإسلاميّ الصحيح؛ فالمجتمع الذي يعتمد على العقيدة الصحيحة في شؤونه جميعها تجده مجتمعاً متماسكاً مستقيماً، بعكس المجتمع الذي أسس على عقيدة منحرفة تجده متمزقاً متهالكاً.

٢ ـ هي أساس الدين وأصله وشرط لقبول العمل وصحته قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝﴾ [المائدة]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝﴾ [الزمر]، فعلى

المسلم أن يسعى قدر جهده، ويبذل ما في وسعه لإصلاح عقيدته؛ لأن بها ـ بإذن الله ـ نجاته.

٣ ـ هي أساس دعوة الرسل قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، لذا مكث ـ ﷺ ـ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد ونَبْذِ الشرك، واستمر على ذلك حتى بعد الهجرة بل أواخر حياته حذر الرسول ـ ﷺ ـ من اتخاذ القبور مساجدَ والأدلة في هذا الباب كثيرة.

مصادر التلقي عند السلف:

هي الكتاب والسنة الصحيحة، ولذا لم يشتهر عن السلف خلاف في مسائل الاعتقاد كخلافهم في مسائل الفقه(١)(٢).

---

(١) للمزيد راجع كتاب: مصدر التلقي عند السلف لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود ـ حفظه الله ـ.

(٢) المصدر الثالث: الإجماع:
وهو اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على أمر من الأمور، وقد دلَّ الكتاب والسنة على حجية الإجماع.
قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء].
وقال ﷺ «يد الله مع الجماعة».
* والإجماع في أبواب الاعتقاد: يأتي لتعضيد الأدلة وتقويتها ودفع احتمال الخطأ الذي يتطرق للظنيات، كما حكاه ابن حزم وابن تيمية، وهو دليل مقطوع به في مسائل الاعتقاد، وبعض المذاهب له رأي فاسد في هذه المسألة فيحتج بالإجماع فيما لا مجال =

= للعقل فيه كما في توحيد الباري ونحوه وهذا مذهب الفلاسفة وغيرهم.
والإجماع المنضبط: إجماع أمة محمد ﷺ من الصحابة ومن بعدهم وما كان عليه سلف الأمة إذ بعدهم كثر الاختلاف وافترقت الأمة.
قال ابن تيمية: «وهم أي أهل السنة والجماعة يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين».
ومعرفة هذه الأصول تبين لنا أن من يُنادي بالرجوع إلى الكتاب والسنة دون النظر إلى القواعد التي سبق ذكرها في فهم الكتاب والسنة يعني عدم النظر إلى ما أجمع عليه السلف وأن نأتي بأفهام جديدة وآراء مقطوعة عن إجماع وفهم الصحابة والتابعين ومن بعدهم .
المصدر الرابع: دلائل العقل.
أعطت الشريعة العقل نظراً ومكانة لمعرفة العلوم وصلاح الأعمال لكنه ليس مستقلاً بمعرفة الصلاح والكمال وإنما هو وسيلة إلى ذلك والعقل في إدراكه للعلوم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:
- علوم ضرورية: وهي التي لا يمكن التشكيك فيها (كعلم الإنسان بوجوده).
- علوم نظرية: وهي التي تكتسب بالنظر والاستدلال وهذه لابد من علم تستند إليه كالطبيعات، الرياضيات، الطب.
- لا يعلم بواسطة العقل إلا أن يعلّمه بأن يُجعل طريق للعلم به، وذلك كالغيبيات وتفاصيلها لا تكون إلا عن طريق الخبر وهذا كثير في مسائل الاعتقاد.
فعرفنا مما تقدم أن العقول لا تُدرك كثيراً من مسائل الاعتقاد كصفات الله وأفعاله وحقائق ما ذكر من أمور اليوم الآخر إلا بالوحي.
أما أهل البدع فقد قدّموا عقولهم على النصوص الشرعية وسموها قطعيات وجعلوا النصوص الشرعية تابعة لها.
فالعقل يُعطى منزلته ودوره المناسب: فلا يُرفع فوق منزلته، ولا يُجعل مستقلاً ولا يُلغى بالكلية.
المصدر الخامس: الفطرة: هي الإسلام وهي دين الله، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ فَفطر الناس خلقت موحدة لله تعالى ومحبة له ما لم يأتيها المعارض ويحول بينها وبين السلامة والاستقامة.
كما قال ﷺ: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

=

أمور يجب على المسلم معرفتها:

أولاً: الإسلام: وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص والبراءة من الشرك وأهله.

وللإسلام معنيان:

عـــام: وهو يشمل دين الرسل جميعهم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة]، وهذا خاص قبل مبعثه ـ ﷺ ـ أما بعد مبعثه فقد نُسخ الإسلام العام وبقي الخاص.

خـــاص: وهو الذي جاء به محمد ـ ﷺ ـ، والذي لا يقبل الله من أحد سواه بعد مبعثه ـ ﷺ ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران]، وهذه الآية رد على من رأى وحدة الأديان السماوية والدعوة إلى الدين

= - ودلت الفطرة على توحيد الربوبية لأن أصل المعرفة بالخالق فطري في الناس.

- والخلق مفطورون على توحيد الأسماء والصفات لأن المستقر في فطر الناس أن الله أجلّ وأكبر وأعلى وأعظم من كل شيء، وتفصيل ذلك يُعلم بالسمع الذي جاءت به الرسل.

- والفطرة تدل على صفة العلو لله لأ ن الخلق إذا رغبوا شيئاً توجهوا بقلوبهم وأيديهم إلى السماء.

- والفطرة تدل على توحيد الألوهية لأنه يستحيل أن يكون لهذا العالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال.

فالإسلام بعقائده وأحكامه موافق للفطرة لا يعارضها، فكل مسألة من مسائله يوجد في الفطرة ما يؤيدها ويشهد لصحتها. للمزيد انظر: مصدر التلقي للشيخ عبد الرحمن المحمود ـ حفظه الله ـ.

الإبراهيمي[(١)] فإن الآية نص على قصر الدين المقبول عند الله على

---

(١) * السرد التاريخي لهذه النظرية:
- بين الله سبحانه في محكم كتابه، أن اليهود والنصارى في محاولة دائبة لإضلال المسلمين عن إسلامهم وردِّهم إلى الكفر، ودعوتهم إلى اليهودية أو النصرانية.
قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة].
- مرحلة الدعوة إليها في النصف الأول من القرن الرابع عشر.
وقد خمدت حيناً من الدهر، محتجرة في صدر قائليها، حتى تبنتها «الماسونية» وهي منظمة يهودية تدعو للسيطرة على العالم، ونشر الإلحاد والإباحية.
ثم وقع في حبالهم بعض علماء المسلمين ورجال الفكر، وألفوا جمعية باسم «جمعية التأليف والتقريب» أي التقريب بين الأديان الثلاثة..
- مرحلة الدعوة إليها في العصر الحديث.
في هذه المرحلة وفي ظل النظام العالمي الجديد جهرت اليهود والنصارى بالدعوة إلى التجمع الديني بينهم وبين المسلمين باسم:
الدعوة إلى التقريب بين الأديان، التقارب بين الأديان، نبذ التعصب الديني، وحدة الأديان، الملة الإبراهيمية، مجمع الأديان، الحوار الحضاري بين الأديان.
* آثار النظرية على الإسلام والمسلمين:
- اقتحام العقبة، وكسر حاجز الهيبة من المسلمين من وجه، وكسر حاجز النفرة من الكافرين من وجه آخر.
- قدّم «البابا» نفسه إلى العالم بأنه القائد الروحي للأديان جميعاً.
- ومن آثارها أنه انتشر في العالم، عقد المؤتمرات لهذه النظرية وانعقاد الجمعيات.
- تأثر طائفة من العلماء بهذه الشعارات وكان فيها مؤتمر شرم الشيخ بمصر عام ١٤١٦هـ، والذي ركز على الصفة الجامعة بين أرباب المؤتمر «الإبراهيمية»، وقد أعلن بعض المفتونين عن إصدار كتاب يجمع بين دفتيه «القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل».
انتشار التهويد والتنصير بين المسلمين ومشاركتهم لهم في أفراحهم وأعيادهم وتتبع خطواتهم، وبتطبيع العلاقات معهم.
* حكم النظرية:
من أركان الإيمان وأصول الاعتقاد: الإيمان بجميع الكتب المنزلة على أنبيائه ورسله، =

الإسلام الذي جاء به محمد ـ ﷺ ـ ونبذ ما سواه.

= وأن كتاب الله «القرآن الكريم» هو آخر كتب الله نزولاً وآخرها عهداً برب العالمين.
وأما اليهود أمة الغضب، والنصارى أمة الضلال فقد كفروا به إذ لا يؤمنون بالقرآن ولا بنسخه لما قبله وينسبون ما في أيديهم من بقايا التوراة والإنجيل مع ما أضيف إليهما من التحريف والتبديل والتفسير إلى الله تعالى بل فيها من الافتراء على أنبياء الله مالا يخفى...

* **النتيجة هي:**

١ ـ يجب على المسلمين الكفر بهذه النظرية «وحدة كل دين محرف منسوخ مع دين الإسلام الحق المُحكم المحفوظ من التحريف والتبديل الناسخ لما قبله» وهذا من بديهيات الاعتقاد والمسلمات في الإسلام.

٢ ـ أن الدعوة إلى هذه النظرية: نفاق ومشاقة وشقاق وعمل على إخراج المسلمين من الإسلام. فمن سلك الدين الإبراهيمي المزعوم فقد ابتغى غير الإسلام ديناً.

٣ ـ ويجب على الثقلين ـ الإنس والجن ـ اعتقاد توحد الملة والدين في دعوة جميع الأنبياء والمرسلين في التوحيد والنبوات، والمعاد، وهذا الأصل العقدي لم يسلم إلا لأهل الإسلام.

٤ ـ ويجب على الثقلين اعتقاد تعدد الشرائع وتنوعها، وأن شريعة الإسلام هي خاتمة الشرائع، ناسخة لكل شريعة قبلها، فلا يجوز لبشر من أفراد الخلائق أن يتعبد الله بشريعة غير شريعة الإسلام.

٥ ـ ويجب على جميع الثقلين من الكتابيين وغيرهم: الدخول في الإسلام بالشهادتين، والإيمان بما جاء في الإسلام جملة وتفصيلاً والعمل به واتباعه وترك ما سواه من الشرائع المحرفة.

٦ ـ يجب على كل مسلم اعتقاد كفر من لم يدخل في هذا الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافراً، وأنه عدوٌ لنا، وأنه من أهل النار إن مات على هذا الاعتقاد.

فبطلت بهذا نظرية الخلط بين الإسلام الحق، وبين غيره من الشرائع الدائرة بين التحريف والنسخ، وأنه لم يبق إلا الإسلام وحده، والقرآن وحده، وأن محمداً ﷺ لا نبي بعده، وأن شريعته ناسخة لما قبله، ولا يجوز اتباع أحد سواه.

أركانــــــه: خمسة وهي:

(الشهادتان، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج).

وقد اتفق العلماء على كفر من تركها جميعاً أو ترك الشهادتين واختلف في بقيتها والراجح في الصلاة الكفر لقوله ـ ﷺ ـ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[1].

فضل الشهادتين:

قال الرسول ـ ﷺ ـ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار**»[2]، ولا يكفي النطق بهما دون الاعتقاد الجازم والعمل بمقتضياتهما.

ـ ومعنى لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله.

ولها ركنان هما:

١ ـ لا إله: نفي.

٢ ـ إلا الله: إثبات الألوهية لله وحد لا شريك له.

وشروطها سبعة جمعت في قول الناظم:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، حديث رقم (٨٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، حديث رقم (٢٩).

١ ـ العلم: أن تعلم معناها والمراد منها، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

٢ ـ اليقين: فلا يدخُلُك في وحدانية الله في ربوبيته وألوهيته شك وما يتضمن ذلك من انتفاء الند والشريك معه ـ سبحانه ـ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [النور: ٦٢].

٣ ـ القبول: فتقبل جميع ما تقتضيه هذه الكلمة بقلبك ولسانك قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ [الصافات].

٤ ـ الانقياد: لما دلت عليه هذه الكلمة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

٥ ـ الصدق: المنافي للكذب، قال الرسول ـ ﷺ ـ: «**ما من عبد شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار**»[١].

٦ ـ الإخلاص: وهو تصفية العمل بصلاح النية من شوائب الشرك والرياء جميعها، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

٧ ـ المحبة: فتحب هذه الكلمة وما تدل عليه قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[٢] [البقرة: ١٦٥].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً حديث رقم (٣٢).

(٢) وأضاف بعض العلماء شرطاً ثامناً وهو الكفر بالطاغوت، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال الناظم:

وزيد ثامناً الكفران منك بما ... سوى الإله من الأوثان قد أُلها

ذكر نواقض الإسلام:

١ ـ الشرك قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

٢ ـ من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

٣ ـ من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم؛ لأن هذا تشكيك فيما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم]. لأن من صحح مذهبهم، واستحسن ماهم عليه من الكفر والطغيان كافر، بإجماع المسلمين[١].

٤ ـ من اعتقد أن هدي غير النبي ـ ﷺ ـ أو حكمه خيرٌ منه أو مماثل له، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكم الرسول ـ ﷺ ـ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

٥ ـ من أبغض شيئاً مما جاء به ـ ﷺ ـ ولو عمل به ـ كفر بإجماع العلماء، كما نقل ذلك صاحب الإقناع، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

(١) التبيان بشرح نواقض الإسلام للشيخ سليمان العلوان ٢٦.

كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد].

٦ ـ من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٤، ٦٥]. ولا فرق في ذلك بين الأقوال والأفعال وبين الأوامر والنواهي.

٧ ـ السحر، فَعَلَهُ أو رضي به، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة].

٨ ـ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١].

٩ ـ من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة الإسلام كما وسع الخضر الخروج على شريعة موسى، ويدخل في ذلك من يرى جواز خروج النصارى أو اليهود عن شريعة الإسلام؛ لأن أديانهم سماوية، أو مشايخ الصوفية الذين يجوزون لأنفسهم الخروج على بعض شرائع الإسلام لاعتقادهم بأنهم وصلوا إلى درجة أعلى من التكاليف؛ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فالإسلام عام شامل محا الله به الشرائع جميعها التي قبله لا يقبل الله بعد مبعث محمد ـ ﷺ ـ من أحد ديناً سواه.

ويالأسف! حيث إنّ مسألة جواز خروج أهل الكتاب عن الإسلام فكرة انخدع بها بعض المنتسبين إلى الفكر الإسلامي[١] عن جهل أو غفلة. وقد أخبر الرسول ـ ﷺ ـ عن نسخ دينه لما سواه فقال كما عند النسائي: «لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»[٢].

وقد أوضح شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ[٣] مسألة الخضر التي قد يحتج بها بعض الصوفية فقال: [ومما يبين الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج بقصة موسى والخضر على مخالفة الشريعة: أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولا أوجب الله على الخضر متابعته وطاعته، بل قد ثبت في «الصحيحين» أن الخضر قال له: يا موسى! إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه؟ وذلك أن دعوة موسى كانت خاصة. ودعوة الرسول ـ ﷺ ـ كانت عامة شاملة لجميع العباد، ليس لأحد الخروج عن طاعته، والاستغناء عن رسالته]. انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ.

١٠ ـ الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [السجدة]. ويشمل هذا حكمَ كثيرٍ من عباد القبور في زماننا هذا وقبله ممن بلغتهم دعوة التوحيد، وبيُنت لهم ثم

---

(١) وهذه العبارة قد أنكرها شيخنا العلامة بكر بن عبدالله أبوزيد في كتابه معجم المناهي اللفظية، وقد أثبتها لأنها من الألفاظ الدارجة في وصف هؤلاء القوم.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٣٧٣ وقد حسنه الألباني في الإرواء ٦/٣٤.

(٣) الفتاوى ١١/٤١٩.

لا يستجيبون، فإنهم معرضون عما جاء به الرسول ﷺ إعراضاً كلياً بأسماعهم وقلوبهم، ولا يصغون لنصح ناصح وإرشاد مرشد، فمثل هؤلاء كفار لإعراضهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف]، والجاهل متى بُيِّن له الحق انصاع وانقاد، وهؤلاء مصرون على عبادتهم لأوثانهم لا يصغون لكلام الله وكلام رسول الله ـ ﷺ ـ ويصدون عن إرشاد الناصحين صدوداً، بل قد يتعرضون بالأذى لمن أنكر عليهم أباطليهم وفجورهم، فقد قامت عليهم الحجة، فلا عذر لهم سوى العناد[1]، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة].

١١ ـ جَحْد شيء مما أثبته الله ـ تعالى ـ لنفسه أو أثبته رسول الله ـ ﷺ ـ، كذلك من يجعل لمخلوق شيئاً من الصفات الخاصةِ بالله كعلم الله، أو إثباته شيئاً نفاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ـ ﷺ ـ كمن جعل لله ولداً قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ [الإخلاص]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [الأعراف].

١٢ ـ تكذيب الرسول ـ ﷺ ـ في شيء مما جاء به سواء أكان أموراً غيبية ماضية أم مستقبلة أم تكاليف أم غيرها. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن

---

(١) التبيان/ للشيخ سليمان العلوان ٦٩.

يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فاطر].

هذه أبرز النواقض، وهناك نواقض كثيرة ترجع في جملتها إلى بعض ما سبق ذكره، ومن ذلك، جحود القرآن أوشيء منه، أو التشكيك في إعجازه أو امتهانه، أو تحليل ما أجمع على تحريمه كالزنى... إلخ، وهذه النواقض يستوي فيها الجاد والهازل والخائف[1] إلا المُكره، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل].

شهادة أن محمداً رسول الله ـ ﷺ ـ:

وهي الاعتقاد الجازم بأنه عبد الله ورسوله ـ ﷺ ـ وأنه خاتم النبيين وأن رسالته للثقلين جميعهم.

ـ **مقتضاها:** طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يُعبد الله إلا بما شرع.

ـ **فيجب الجمع في حقه بين: ١ ـ العبودية قال الله ـ تعالى ـ:** ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [النجم].

---

(١) أي الخائف على ذهاب ماله أو جاهه وقد بيّن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في كشف الشبهات هذه المسألة فقال: إن الذي يتكلم بكلمة الكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مالٍ أو جاهٍ أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها ثم بين فقال.. أو فعله خوفاً أو طمعاً أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله. انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ. ويشمل هذا من فعله خوفاً على الوظائف والمناصب والله المستعان.

٢ ـ والرسالة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، فهو عبد الله ورسوله.

ثانياً: الإيمـــان: وله ستة أركان هي المذكورة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ـ **تعريف الإيمان**: لغة: التصديق الجازم، وشرعاً: قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ـ **ومعنى الإيمان**: هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعرفها بعضهم بقوله: «تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»، لذا أدخل العلماء الأعمال في مسمى الإيمان لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتكم، ولحديث: الإيمان بضع وسبعون شعبة[1]، وقد حكى الإمام الشافعي إجماع الصحابة والتابعين على ذلك، ويدخل في ذلك أنواع التوحيد الثلاثة بتفاصيلها، وفي حديث جبريل المشهور بيان لأصل الدين من الإسلام والإيمان والإحسان.

معنى التوحيد، وذكر أقسامه.

التوحيد: هو الإيمان بأن الله واحد لا شريك له ولا رب سواه.

وينقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

١ ـ توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بأفعال الخلق والمُلك والتدبير.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان ١/ ٥٧، ٥٨.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [السجدة: ٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، وهذا مغروس في الفطرة البشرية ولم ينكره إلا من انحرفت فطرته أو تكبر كالملاحدة، وهذا التوحيد لا يكفي لدخول صاحبه الإسلام؛ لأن المشركين آمنوا به ولم يدخلهم في الإسلام قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ. . . ﴾ [الزخرف: ٨٧].

٢ ـ **توحيد الألوهية**: وهو إفراد الله ـ سبحانه ـ بالعبادة مثل الحب والخوف والرجاء والتوكل والدعاء والطاعة والذبح والنذر والتذلل والخضوع وغيرها، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[الأنعام:]، وهذا التوحيد هو الذي حدث بسببه النزاع بين الرسل وأممهم؛ لأنه يقوم على إخلاص العبادة لله وحده والكفر بالطاغوت، لذا أنكره الكفار فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [صٓ]. وقاتلهم النبي ـ ﷺ ـ بسببه.

٣ ـ **توحيد الأسماء والصفات**: وهو إثبات الأسماء والصفات لله كما وردت في الكتاب والسنة وهذا يقتضي الإيمان بأن الله متصف بصفات الكمال جميعها منزه عن صفات النقص جميعها.

وقيل هو: الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ـ ﷺ ـ من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف؛ لأن هذه الأمور مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف].

أ ـ والإلحاد في أسمائه هو الميل بها عن معانيها اللائقة بالله تعالى:

ب ـ **التمثيل**: وهو جعل مثيل لله، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾.

جـ ـ **التحريف**: أن تحرف الصفة فتقول مثلاً: اليد بمعنى: القدرة؛ أي صرف اللفظ عن ظاهره، ويكون التحريف في اللفظ والمعنى.

د ـ: **التعطيل**: هو جحد ما وصف الله به نفسه فتعطل الله عن صفات كماله، فتنفي عنه مثلاً السمع أو تنفي عنه اليد أو الوجه. فتقول: ليس له يد أو وجه... إلخ.

هـ ـ **التكييف**: أن تجعل لصفة الله كيفية معينة فتقول: يد الله كيفيتها كذا وكذا، ووجه الله كيفيته كذا وكذا، وهذا لا يجوز لعدم القدرة على تصورها قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۝﴾ [طه]، ولأن معرفة كيفية الصفة لا تكون إلا بأحد أمور ثلاثة:

١ ـ مشاهدتها بذاتها، وهذا لا يكون في الحياة الدنيا.

٢ ـ مشاهدة المثيل، وهذا محال بحقه سبحانه لقوله ـ تعالى ـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

٣ ـ الخبر الصادق، ولم يصلنا خبر لا من كتاب ولا من سنة فيه تكييف لصفة من صفات الله.

مسألة التفويض:

فائدة: نسمع كثيراً أن بعض السلف يقولون أمِرُّوها كما جاءت

ولا ينكرُ عليهم، ونسمع من الخلف من يقول أمرُّوها كما جاءت فيشنع ويرد عليهم، فما الفرق بين تفويض السلف وتفويض الخلف؟

والجواب أن التفويض نوعان:

١ ـ **تفويض معنى**: كأن تقول: لا أعلم ما المقصود بالمجيء ولا أعلم ما المقصود باليد هل هي القدرة، أو النعمة، أو الجارحة؟ فأفوض أمرها إلى الله، فهذا هو تفويض الخلف ومذهب بعض الفرق الضالة المنحرفة، وهذا التفويض هو الذي حرّمه السلف وحذّروا منه؛ لأن الحق إثبات الصفات وما دلت عليه من المعاني اللائقة بالله تعالى دون صرفها وتأويلها عن ظاهرها مع البعد عن التشبيه والتمثيل؛ كإثباتهم لله يداً معلومة المعنى، تليق بالله من غيرتشبيه ولا تمثيل لأنه ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى].

٢ـ **تفويض الكيف**: وهي أن تُثبت ما تقتضيه الصفة من معنى وتفوض كيفيتها إلى الله فتقول: لله يد وهي يد حقيقية تليق به ـ جل وعلا ـ ولكن لا تعرف كيفية هذه اليد، وهذا هو التفويض الذي عُرف عن السلف بقولهم: (أمرّوها كما جاءت)؛ فلا يغتر أحد وينخدع عندما يسمع هذه اللفظة فيظن أن السلف يوجبون التفويض مطلقاً، وهم إنما يوجبون تفويض الكيف ويحرمون تفويض المعنى.

أنواع الكفر:

أولاً: اعتقاديّ: وهو الكفر الذي يوجب خلود صاحبه في النار ـ والعياذ بالله ـ وهو مخرج من الملة وله خمسة أقسام:

أ ـ التكذيب والجحود: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [العنكبوت].

ب ـ الإباء والاستكبار: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة].

جـ ـ الشك والظن وعدم الجزم بأصول الإيمان أو بعضها: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ . . . وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ [الكهف: ٣٧].

د ـ الإعراض بسمعه وقلبه عن الرسول ـ ﷺ ـ: لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأحقاف].

هـ ـ النفاق: وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر.

ثانيا: عمليّ: وينقسم إلى قسمين:

أ ـ أكبر: مخرج من الملة كالسجود لغير الله والاستهانة بالمصحف وقتل أي من الأنبياء عليهم ـ الصلاة والسلام ـ.

ب ـ أصغر: غير مخرج من الملة: ولكن ينافي كمال التوحيد ككفر النعمة وقتل المسلم بغير حق والطعن في الأنساب والنياحة على الميت.

الشرك نوعان:

١ ـ شرك أكبر: وهو اعتقاد الشريك لله، أو هو صرف شيء من

أنواع العبادة لغيره. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]، ومن أمثلته: الطواف حول القبور والنذر لغير الله والذبح لغيره والسجود والركوع لغيره، وهو مخرج من الملة.

٢ ـ **شرك أصغر**: وهو كل ذنب جاءت النصوص بتسميته شركاً ولم يصل إلى حدِّ الشرك الأكبر كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا... إلخ.

ويدخل في الشرك الأصغر يسير الرياء كالتصنع للخلق ومراءاتهم وتعليق التمائم والتشاؤم بالطير والأشهر وغيره، وهو غير مخرج من الملة.

وقد حرص الإسلام على تحريم هذه الأشياء حتى لاتقود إلى الشرك الأكبر، كذلك حرَّم البناء على القبور واتخاذها مساجد، ونهى عن الغلو في الصالحين والمبالغة في مدحهم، كُل ذلك حفاظاً على جناب التوحيد وحماية له وسداً لذرائع الشرك.

تعريف التوسل.

هو في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها وسائلُ، يقال: وسَلَ إليه وسيلة، وتوسّل. والمراد به اصطلاحاً: ما يتقرب به إلى الله ـ تعالى ـ[1]، من الأقوال والأعمال ليسأل ويدعى بها.

---

(١) انظر: النهاية لابن الأثير ٥/١٦١.

أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى نوعين مشروع ومحرم:

أ: المشروع: وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته. قال الله - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهو أعظم أنواع التوسل وأهمها.

٢ - التوسل إلى الله بعمل صالح قام به الداعي، كقوله - تعالى -: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران]، فهنا توسلوا بعمل صالح عملوه وهو الإيمان، وكحديث أصحاب الغار[(١)].

٣ - التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر، حيث كان الصحابة يستسقون بالرسول - ﷺ - في حياته فيطلبون منه أن يدعو لهم، وبعد مماته استسقوا بعمه العباس - رضي الله عنه -[(٢)] لعلمهم بعدم جواز التوسل بالميت، وكفعل معاوية - رضي الله عنه - حينما استسقى بيزيد بن الأسود فقال: قم يا بكاء فصعد إلى المنبر فقال معاوية: اللهم إنا نستغيثك بخيرنا وأفضلنا فدعا يزيد فنزل بفضل من الله المطر[(٣)].

ب - المحرم: كالتوسل بالأموات، ومثل قولهم: اللهم بحق نبيك أو بجاهه أو بقدره عندك عافني واعف عنّي، وقولهم: اللهم بجاه الولي

---

(١) البخاري كتاب الإجارة باب من استأجر أجيراً فترك أجره ٢٢٧٢.

(٢) البخاري ٢/٣٩٨، وابن سعد في الطبقات ٤/٢٨، ٢٩.

(٣) رواه الحافظ ابن عساكر بسند صحيح ١٨/١٥١/١.

الفلاني والصالح الفلاني أو مثل قولهم: بكرامة فلان عندك أو بجاه من نحن في حضرته فرِّج عنّا، أو ابسط لنا، إلى غير ذلك مما لا يجوز.

وغالب ما استدل به أهل التصوف والمنحرفون أدلة ضعيفة أو موضوعة لا يجوز الاحتجاج بها وما كان منها صحيحاً فليس فيه حجة[١].

ومن الأمور التي يجب الاهتمام بها معرفة أصحابه ﷺ:

فالصحابي هو كل من لقي النبي ـ ﷺ ـ مؤمناً به ومات على ذلك، وأفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ، ثم بقية العشرة وأهل بيعة الرضوان وأهل بدر، وجميعهم عند أهل العلم المعتبرين عدولٌ، وسيئاتهم مغمورة في بحر حسناتهم ـ رضي الله عنهم ـ وأرضاهم، وعلى المسلم ألاّ يشغل نفسه في الحديث عمّا جرى بينهم لئلا يوغر قلبه على أحد منهم، قال القحطاني ـ رحمه الله ـ:

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى ... بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم ... وجميعهم في الحشر مرحومان

فعلى كل مسلم يؤمن بالله ورسوله أن يعلم علم اليقين أن أصحاب محمد ـ ﷺ ـ هم الذين بلّغوا هذا الدين، فعن طريقهم نقل إلينا الكتاب العظيم وسنة المصطفى الكريم ـ ﷺ ـ فلا ينكر فضلهم إلا جاهل، ولا يسبهم إلا ضال أو حاقد، فهم الصفوة، وهم خير البرية، نالوا

---

(١) ومن أراد المزيد فليرجع إلى رسالة التوسل أنواعه وأحكامه للألباني جمعها محمد عيد العباسي من إصدارات المكتب الإسلامي.

شرف صحبة محمد ـ ﷺ ـ ومن سبهم فهو ساب للدين؛ لأنهم نقلته، وقد تواترت الأدلة على فضلهم ومكانتهم من كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ وأقوال السلف والخلف، وقد ذم السلفُ ومن تبعهم من ذمهم، قال ابن كثير عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب]، «وهذا هو البهت البين أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقيص لهم ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برّأهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن وما لم يفعلوه أبداً فهم في الحقيقة منكوسو القلوب يذمون الممدوحين»[١] أ.هـ، وإليك الأدلةَ في بيان فضلهم:

أولاً: من كتاب الله:

١ ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

٢ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ . . .﴾ [الفتح: ٢٩].

٣ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/٤٨٠)، عند تفسير الآية ٥٨ من سورة الأحزاب.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ [الحديد].

٤ ـ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾ [التوبة].

وهذه الآيات قد تضمنت أموراً نذكر منها:

١ ـ شهادة الله ـ سبحانه ـ لأصحاب محمد ـ ﷺ ـ بإيمانهم وفضلهم وسابقتهم وكفى بالله شهيداً، ولهذا قال الخطيب[1]: «والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله ـ تعالى ـ لهم المطّلِع على بواطنهم إلي تعديل أحد من الخلق» انتهى.

٢ ـ كما دلت على أن الله ـ تعالى ـ الجواد الكريم الغفور الرحيم وَعَدَ الصحابة جميعهم بالجنة ووعده الحق قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج: ٤٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾ [التوبة].

---

(١) في الكفاية ص٩٣.

ثانياً: من السنة:

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»[١]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ[٢]: «أو هو ـ أي الحديث ـ خطاب لكل أحد أن يسبّ ما انفرد عنه بصحبته عليه الصلاة والسلام» انتهى.

٢ ـ وقال ـ ﷺ ـ: **«الله الله بأصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»**[٣].

٣ ـ وعن واثلة ـ رضي الله عنه ـ قال ـ ﷺ ـ: **«طوبى لمن رآني ولمن رأى من رآني»**[٤].

٤ ـ وروى أحمد، ومسلم عن أبي موسى عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: **«النجوم أمنة للسماء، فإذا ذَهَبت النجوم أتى السماء ما تُوعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة**

---

(١) متفق عليه. البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (٥) حديث رقم (٣٦٧٣)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٥٤)، رقم الحديث (٢٥٤٠).

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ص٥٧٦.

(٣) رواه الترمذي في المناقب باب (٥٩) حديث رقم (٣٨٦٢)، والبغوي في شرح السنة وابن حبان في صحيحه وأحمد في مسنده (٥/ ٥٤، ٥٥ ـ ٥٧).

(٤) رواه أحمد وجمع من أهل العلم. قال عنه الهيثمي في المجمع. رواه الطبراني وفيه بقية قد صرح بالسماع فزالت الدلسة وبقية رجاله ثقات.

لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[١].

ثالثاً: أقوال أهل العلم:

١ ـ قال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ـ ﷺ ـ حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله ـ ﷺ ـ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[٢].

٢ ـ وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله بسوء فاتهمه على الإسلام»[٣].

٣ ـ وقال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: «إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ـ ﷺ ـ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين»[٤].

٤ ـ وقبل هؤلاء الأئمة فإن الصحابة الذين تأخرت وفاتهم ذموا من سب أصحاب محمد ـ ﷺ ـ؛ فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم وقد علم أنهم

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ـ ﷺ ـ أمان لأصحابه...، رقم الحديث (٢٥٣١). والإمام أحمد ٤/٣٩٩.
(٢) الكفاية للخطيب ص٩٧.
(٣) الصارم ص٥٦٨.
(٤) الصارم ص٥٨٠.

سيقتتلون»[١].

٥ ـ وقال عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «لاتسبوا أصحاب محمد فإن مقام أحدهم خير من عملكم كله»[٢]. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «اللهَ اللهَ في أصحاب نبيكم ـ ﷺ ـ فإنه أوصى بهم خيراً»[٣].

رابعاً: العقـــل:

إن العاقل الفطن يتعجب ممن سب الأصحاب وشتم الأحباب وكفّرهم على رؤوس الأشهاد دون خوف من الله أو حياءٍ من العباد، وكلامه باطل ممجوج مرفوض عند أولي الألباب والعقول؛ لأنه يقتضي أموراً في غاية البطلان، وهي:

١ ـ أن الصحابة ـ عليهم رضوان الله ـ ليسوا عدولاً فلا يقبل خبرهم، ويجب رد قولهم، ولا يوثق بنقلهم؛ لأنهم كفرة فسقة، والكافر والفاسق لا يقبل خبرهما.

٢ ـ أن القرآن وكذلك السنة نقلا إلينا عن طريق هؤلاء الصحابة، وبناءً على قولهم فهما غير صحيحين لأنهما وصلا إلينا عن طريقهم، وهم غير عدول من وجهة نظرهم.

٣ـ ومقتضى كلامهم أن الشريعة باطلة ومرفوضة؛ لأنها منقولة عن

---

(١) الصارم ص٥٧٤.
(٢) رواه اللالكائي.
(٣) رواه الطبراني.

أناسٍ لا تُقبل أخبارُهم، ولا تُصدق أقوالهُم.

ونقول للمخالفين في هذه المسألة من الروافض وأذنابهم:

أ ـ إن الإسلام الذي نعرفه ما عرفناه إلا من خلال القرآن والسنة اللذين نقلا إلينا عن طريق الصحابة، فإذا هدما فلا بد أن يهدم الإسلام وأن يلغى بالكلية فعلى من هدمهما أن يبحث له عن دين غير الإسلام؛ لأنه لا يثق به.

ب ـ أننا مقتنعون بهذا الدين الإسلاميّ الذي نقل إلينا عن طريق الصحابة الكرام لقناعتنا بهم وأنتم غيرُ مقتنعين بما نقلوه لنا ولا بما نقل لنا، فكيف ترضون أن يكون مسمى ديننا ودينكم واحداً، ولماذا تغضبون منّا حينما نرفض التقارب معكم لعلمنا اليقيني باختلاف مشاربنا عن مشاربكم ومصادرنا عن مصادركم وأصولنا عن أصولكم؟!

جـ ـ أَننا رضينا ـ ولله الحمد ـ أن يكون الإسلام القائم المعروف عند الناس الذي مصدره الكتاب والسنة هو ديننا لا نرضى به بدلاً ولا نحيد عنه قدر أنملة فعلى من خالفونا في مصادرنا أن يبحثوا لهم عن دينٍ غيره، فمسميات الأديان كثيرة والإسلام لا يتسع إلا لأهل السنة والجماعة السلفية الصحيحة الطائفة والفرقة الناجية المنصورة ـ بإذن الله ـ.

د ـ لماذا تسعون على أن تتقاربوا معنا وتصرون مع علمكم أننا نختلف معكم في أصول المسائل وفروعها ولا نتفق معكم إلا في أمور قليلة؛ فلماذا هذا الإصرار العجيب؛ والحرص الشديد على التزلف

لأهل السنة؟ ألستم واثقين بدينكم؟ أو ما تملكون القدرة على الاستقلال بعقيدتكم كما استقلت اليهود والنصارى والمجوس بعقائدهم؟ فلماذا تزاحموننا على هذا الاسم؟.

هـ - إن قدحكم بالصحابة يقتضي القدح بالنبي - ﷺ - وأنتم تؤمنون به كما تزعمون وتظُهرون؛ لأنه هو الذي اختارهم لصحبته ورباهم على يده وسقاهم من معينه وعلمهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ومنهم عمر وأبو بكر - الذي لا تختلفون معنا بأنه رفيقه في هجرته - وقد ميزهما على أصحابه، ومع ذلك هما أئمة الكفر والضلالة، بل أكفر من اليهود والنصارى عندكُم. إن العاقل منكم - إن كان فيكم عاقل - عليه أن يسأل نفسه كيف يعقل أن يكون نبي من أنبياء الله يوحى إليه من السماء يزكي رجلين وأنتم تشهدون بذلك ويثني عليهما على رؤوس الأشهاد وهما منافقان يبطنان الكفر ويظهران الإيمان بل يظهران العداوة للنبي - ﷺ - وعترته أهل بيته الطيبين؟! إن الملك والزعيم والسلطان الذي يقرب أعداءه، ثم تظهر خيانتهم يتهم بالغفلة ويرمي بقلة التدبير والكياسة، فهل ترضون يا من ادعيتم حب الرسول - ﷺ - أن يوصف بذلك؟ قال الله - تعالى -: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ ﴾ [الكهف].

و - كيف يليق بالنبي - ﷺ - أن يتزوج كافرتين والقرآن كما تقرؤونه يأمره بعدم ذلك؟ قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة: ١٠]، فلقد كفرتم عائشة وحفصة - رضي الله عنهما - دون خوف من الله أو حياءٍ من الناس بأن تكفروا زوجات نبيكم - ﷺ -، وإن قلتم:

تزوج نوح ولوط امرأتين كافرتين، فأقول لكم: إنكُم تتفقون معنا على أن نوحاً ولوطاً كانا يعلمان بكفر زوجتيهما، وأما محمد ـ ﷺ ـ فهو عندكم مغفل لا يعلم بكفر زوجتيه، ويثني عليهما دون شعور منه بكفرهما، وإن كان يعلم بكفرهما فهو مخالف للقرآن وعاصٍ للرحمن بزواجه من الكافرات، إن هذه وحدها كافية لبيان عظم باطلكم وسوء منهجكم وتناقض رأيكم.

ز ـ لقد كفرتم اليهود لاختلاف أصولهم عن أصولكم ومصادرهم عن مصادركم، وكفرتم النصارى للعلة ذاتها، فلماذا لا تكفروننا مثلهم مع العلم بأنكم قد كفرتم علماءنا وأئمتنا أصحاب محمد ـ ﷺ ـ؟!؛ فالعامة تابعة للعلماء في الحكم، وإن قلتم: إنكم جهلة مغرر بكم فعليكم أيضاً ألاّ تكفروا عامة اليهود وعامة النصارى؛ لأنهم مثلنا جهلة ومغرر بهم، فلماذا لا تحكمون علينا كما حكمتم عليهم؟ ولماذا تصرون على أن تجعلونا إخواناً لكم؟ فطالما كفّرتم النصارى وأصحاب محمد ـ ﷺ ـ فاعدلوا معنا أيضاً فكفرونا كما كفرتم مشايخنا فالعدل مطلوب!! إني أعجب من إصراركم على أن تُظْهِروا في جميع المحافل أخُوتَكم لنا ونصرَكم لقضايانا ووقوفَكم معها مع علمكم الأكيد أن بيننا وبينكم كما بيننا وبين الفرق الكافرة كاليهود والنصارى[1].

---

(١) هذا كله من باب الالزام وإلا فهم يكفرون أهل السنة ويرون أنهم على ضلال، ومن كفر الشيخين أبا بكر وعمر فلن يتوان عن تكفير من دونهما من أهل السنة إلى يومنا هذا [المحمود].

حكم سب الصحابة: سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

١ ـ أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم أو أن عامتهم كفروا، فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ولرسوله ـ ﷺ ـ حيث ورد الثناء عليهم والترضي عنهم في كتاب الله وسنة نبيه ـ ﷺ ـ، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره يتعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفّار وفُساق.

٢ ـ أن يسبهم باللعن والتقبيح ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر فيجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عمّا قال.

٣ ـ أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبخل فلا يُكفر ولكن يُعزر بما يردعه عن ذلك، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: «ولا يجوز أن يُذكر شيءٌ من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص فمن فعل ذلك أُدِّب فإن تاب وإلا جُلِدَ في الحبسِ حتى يموت أو يرجع»[1].

وفي الختام كفى فخراً لأصحاب محمد ـ ﷺ ـ أن الله شهد لهم بأنهم خير الناس لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولا ريب أن أصحاب محمد ـ ﷺ ـ أول من يدخل في هذا الخطاب.

---

(١) راجع شرح لمعة الاعتقاد للشيخ/ محمد بن عثيمين ص١٥٢، والصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٥٧٣.

أهم المؤلفات في الرافضة

١ ـ كتاب الإمامة والرد على الرافضة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني.

٢ ـ منهاج السُنة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣ ـ الصواعق المُحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر الهيثمي.

٤ ـ مختصر التُحفة الاثنى عشرية للألوسي.

٥ ـ الخطوط العريضة للخطيب.

٦ ـ صب العذاب على من سب الأصحاب لأبي المعالي الألوسي.

٧ ـ كُتب الشيخ الدكتور: ناصر القفاري (أصول مذهب الشيعة) و(مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة).

٨ ـ وجاء دور المجوس لمحمد بن عبدالله الغريب.

٩ ـ رد الشيخ عثمان الخميس على التيجاني (كشف الجاني محمد التيجاني في كُتبه الأربعة).

١٠ ـ الانتصار للصحب والآل من افتراءات التيجاني الضال للشيخ الرحيلي.

١١ ـ كُتب الشيخ إحسان إلهي ظهير ـ رحمه الله ـ.

١٢ ـ بطلان عقائد الشيعة للتونسوي.

مقدمة في السنة

السنة في اللغة: الطريقة محمودةً كانت أم مذمومة ومنه قوله -ﷺ-: «**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»[(١)].

وفي الاصطلاح: ما أُثِر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقِية[(٢)] أو خُلُقِيَّة أو سيرة سواء كان قبل[(٣)] البعثة أو بعدها.

١ ـ السنة القولية كقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[(٤)].

٢ ـ السنة الفعلية: وهي تشمل جميع ما نقله الصحابة من أفعال النبي -ﷺ- في شؤون العبادة وغيرها كالصلاة والحج والصيام.

٣ ـ السنة التقريرية: وتشمل ما أقره النبي ﷺ من أفعال صدرت عن بعض أصحابه كإقراره لاجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة حين قال لهم: «**لا يصلينَّ أحدكم العصر إلا في بني قريظة**»[(٥)]، فقد فهم بعضهم هذا النهي على حقيقته فأخرها إلى ما بعد المغرب وفهمه بعضهم على أن المقصود حث الصحابة

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) وهناك من يرى أن يقال: خِلقية، نسبة إلى الخلقة، والله أعلم.

(٣) كتحنثه في غار حراء. وإن كان هناك من يرى أن قيد قبل البعثة ليس بصحيح والله أعلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

على الإسراع فصلاها في وقتها وبلغ النبي ﷺ ما فعله الفريقان فأقرهم ولم ينكر عليهم النبي ﷺ.

مكانة السنة في التشريع:

تعتد السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ١٢٩]. وقد ذهب جمهور العلماء والمحققين إلى أن الحكمة شيء آخر غير القرآن ويُعبَّرُ عنها العلماء بالسنة. قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: «الحكمة سنة رسول الله ـ ﷺ ـ»، ونقل هذا القول عن يحيى بن أبي كثير وقتادة، وهذا مما لا شك فيه لأن الله عطفها على الكتاب وذلك يقتضي المغايرة ولا يصح أن تكون شيئاً غير السنة؛ لذا أمرنا الله ـ جل وعلا ـ بطاعة الرسول ـ ﷺ ـ فقال ـ تعالى ـ: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر].

وأثنى عليه ـ تعالى ـ فقال: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وأمر الله ـ عز وجل ـ بطاعته وقال: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران] لذا كان الصحابة يرجعون إليه ﷺ ليفسر لهم أحكام القرآن ويبينه لهم

ويحكم بينهم في المنازعات ويحل بينهم الخصومات وكانوا يلتزمون حدود أمره ونهيه ويتبعونه في أعماله وعباداته ومعاملاته إلا ما علموا منه أنه خاص به، وبلغ من اقتدائهم به أنهم كانوا يفعلون ما يفعل ويتركون ما يترك دون أن يعلموا لذلك سبباً أو علةً أو حكمة، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب ثم نبذه النبي ﷺ وقال: «إنني لن ألبسه أبداً» فنبذ الناس خواتيمهم**»[(١)]. والتزموا طاعته بعد وفاته لأن النصوص التي أوجبت طاعته عامة لم تقيد ذلك بزمن حياته ولا بصحابته دون غيرهم وقد أثنى على معاذ حين بعثه إلى اليمن فسأله فقال له: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء**» قال: أقضي بكتاب الله، قال: «**فإن لم يكن في كتاب الله**» قال: فبسنة رسول الله ﷺ[(٢)].

وقال ـ ﷺ ـ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنتي»[(٣)]. وأرشد عمر شريحاً فقال له: «إذا أتاك أمر فاقضِ بما في كتاب الله فإن أتاك بما ليس في كتاب الله فاقضِ بما سن فيه الرسول ـ ﷺ ـ».

التحذير من نبذ السنة:

١ ـ حذر الله ـ جل وعلا ـ من مخالفة أمر الرسول ـ ﷺ ـ فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه أحمد وأبوداود والترمذي.

(٣) رواه الحاكم والبيهقي.

٢ ـ ولم يجعل الله لنا الخيرة أمام حكمه. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٣ ـ جعل الله تحكيم الرسول ﷺ من أصول الإيمان فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء].

٤ ـ وقال ـ ﷺ ـ: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: بيننا وبينكم القرآن فما وجدنا فيه من حلال أحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[١].

علاقة السنة بالقرآن:

نصوص السنة مع القرآن على ثلاثة أقسام:

١ ـ ما كان مؤيداً لأحكام القرآن موافقاً له من حيث الإجمال والتفصيل وذلك مثل الأحاديث التي تفيد وجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم من غير تعرض لشرائطها وأركانها فإنها موافقة للآيات التي وردت في ذلك. حيث قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وقال ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**»[٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]. وقال ﷺ: «لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن

---

(١) أخرجه أبوداود والترمذي وقال: هذا حديث حسن.

(٢) البخاري ـ ٥٢٣.

طيب نفسه»[١].

٢ ـ ما كان مبيناً لأحكام القرآن من:

أ ـ تقييد مطلق حيث قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ [المائدة: ٣٨] فجاءت السنة فقيدت القطع بمفصل الكف.

ب ـ أو تفصيل مجمل حيث أمر الله بالصلاة فجاءت السنة مفصلة لكيفية الصلاة.

جـ ـ أو تخصيص عام قال ـ تعالى ـ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] فهذا لفظ عام يشمل الأولاد جميعهم فجاءت السنة وخصصته بغير القاتل لقوله ﷺ: «**لا يرث القاتل**»[٢] ونحو ذلك.

٣ ـ ما كان مستقلا بأحكام زائدة سكت عنها القرآن كنهيه ـ ﷺ ـ: «**أن تُنكح المرأة على عمتها أو خالتها**»[٣]. وكتحريم لبس الذهب والحرير للرجال.

فهذه حالات السنة المطهرة مع القرآن الكريم ولا يجوز بحال من الأحوال تركها أو التهاون فيما استقلت به من الأحكام فذلك هدم للدين وتعطيل لمصدر من مصادر التشريع دلت الأدلة وأجمعت الأمة واقتضت الضرورة اعتباره.

---

(١) صححه الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الجامع ٢٧٨٠ الإرواء ١٤٥٩.

(٢) صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢٦٩٥، وفي إرواء العليل ١٦٧١.

(٣) متفق عليه.

روي عن عمران بن حصين أنه قال لرجل: إنك امرؤ أحمق، أتجد في كتــاب الله الظهـر أربعاً لا يجهر فيها بالقراءة؟ ثم عدد ـ رضي الله عنه ـ نحو هذا ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله مفسراً؟ إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك[١].

* * *

(١) الموافقات للشاطبي وجامع بيان العلم وفضله. لابن عبدالبر.

علم الحديث

يشمل علم الحديث موضوعين رئيسين هما:

١ ـ علم الحديث رواية:

وهو العلم الذي يقوم على نقل ما أضيف إلى النبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات وصفات.

٢ ـ علم الحديث دراية:

قيل: هو معرفة القواعد المُعرفة بحال الراوي والمروي، فالراوي ناقل الحديث والمروي ما أضيف إلى الرسول ﷺ، فموضوع علم الحديث دراية يشمل:

أ ـ السند: وهو سلسلة الرجال الموصلين للمتن.

ب ـ المتن: ما انتهى إليه السند من كلام[١].

مثال: قال البخاري ـ رحمه الله ـ:

حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**قال الله: أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك**»[٢].

فالسند رجال الحديث، والمتن أنفق يا ابن آدم.

---

(١) هناك من يرى أن قيد الكلام ليس بصحيح لأن المنقول قد يكون فعلاً. والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري مطولاً في عدة مواضع ٤٦٨٤.

وفائدة علم الحديث دراية: معرفة المقبول من المردود.

الفرق بين الحديث والخبر والأثر.

١ ـ الحديث:

ما جاء عن النبي ـ ﷺ ـ سواءً كان قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

٢ ـ الخبر:

ما جاء عن النبي ـ ﷺ ـ أو أصحابه أو التابعين، أو من دونهم.

٣ ـ الأثــر:

ما جاء عن غير النبي ـ ﷺ ـ من الصحابة، أو التابعين، أو من دونهم.

* * *

مصطلحات في علم المصطلح

١ ـ الحديث المتواتر:

وهو: ما نقله إلينا جماعة كثيرون تُحيل العادة تواطؤهم على الكذب وتوافقهم عليه، عن جماعة كذلك، ويكون إخبارهم عن شيء محسوس من مشاهد أو مسموع، كان يقول: رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يفعل كذا، أو سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول كذا. . . إلخ

ينقسم الحديث المتواتر إلى قسمين:

أ ـ متواتر لفظي:

وهو ماتواتر لفظه ومعناه عن النبي ـ ﷺ ـ، كحديث «من كذب عليّ متعمداً. .»[١].

ب ـ متواتر معنوي:

وهو ما تواتر معناه دون لفظه كأحاديث الحوض والشفاعة.

وهذا النوع قطعي الثبوت، وهو بمنزلة العيان، ويجب العمل به[٢].

٢ ـ الحديث الصحيح:

وهو: ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه ولا يكون شاذاً ولا معللاً بعلة قادحة.

---

(١) البخاري ١٠٧ وهو من الأحاديث المتواترة.

(٢) تواتر طبقي أي جيل عن جيل كعدد ركعات الصلاة [الخضير].

٣ ـ الصحيح لغيره:

هو: الحسن لذاته إذا تعددت طرقه وقيل: هو ما كانت شروطه أخف من شروط الصحيح لذاته، وانجبر لكثرة الطرق.

٤ ـ الجيد:

هو: ما ترقى فيه الحديث من ـ الحسن لذاته ـ ويتردد في بلوغه درجة الصحيح لأن وصفه أنزل رتبة من الوصف بصحيح.

٥ ـ الحسن لذاته:

هو: الحديث الذي اتصل سنده بنقل عدل خف ضبطه غير شاذ ولا معلل، وهو في الاحتجاج كالصحيح عند الجمهور.

٦ ـ الحسن لغيره:

هو: الخبر المتوقف عن قبوله إلا إذا قامت قرينة ترجح جانب قبول ما يتوقف فيه. وقيل هو الضعيف: إذا تعددت طُرُقُه وليس في رواته من يتهم بكذب ولا فسق.

٧ ـ الضعيف:

هو: ما لم تجتمع فيه صفات الصحيح، ولا صفات الحسن.

٨ ـ الحديث الشاذ:

هو: ما روى الثقة، مخالفاً لرواية الناس، لا أن يروي مالا يروى غيره.

٩ ـ زيادة الثقـــة:

هو: ما زاد فيه بعض الثقات ألفاظاً بالحديث، عما رواه الثقات الآخرون لذلك الحديث، وهي مقبولة على القول الراجح.

١٠ ـ الموقـــوف:

وهو: ما روي عن الصحابة قولاً لهم، أو فعلاً أو تقريراً، متصلاً كان أو منقطعاً[١].

١١ ـ المقطـــوع:

وهو: ما نسب إلى التابعيّ أو من دونه من قولٍ أوفعلٍ وهو غير المنقطع.

١٢ ـ الحديث القدسي:

هو: ما نقل إلينا عن النبي ـ ﷺ ـ مع إضافته إلى ربه ـ عز وجل ـ.

١٣ ـ الموضـــوع:

هو: المختلق المصنوع على رسول الله ـ ﷺ ـ.

وقيل هو: ما كان راويه كاذباً، أو متنه مخالفاً للقواعد، وتَحْرمُ روايته مع العلم به في أي معنى كان إلا مقروناً ببيان وضعه.

١٤ ـ ثا ـ ثنا ـ دثنا: اختصار لكلمة حدثنا.

١٥ ـ ثنـــي: اختصار حدثني.

---

(١) ويجوز إطلاقه على مَنْ دون الصحابة مقيداً. [الخضير].

١٦ ـ **صيغ الجـــزم:** منها: قال، رَوى فلان، جاء، عن.

١٧ ـ **صيغ التمريض:** التضعيف ـ قيل، يروى، يُذكر. رُوي عن فلان.

١٨ ـ **الضبــــط:** الحزمُ في الحفظ وهو نوعان:

أ ـ ضبط صدر. ب ـ ضبط كتاب.

١٩ ـ **أخرجه الستة:** البخاري، مسلم، أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه.

٢٠ ـ **أخرجه الخمســـة:**

أصحاب السنن مع الإمام أحمد.

٢١ ـ **أخرجه الأربعة:**

أي أصحاب السنن، فيخرُج البخاري ومسلم.

٢٢ ـ **أخرجه الثلاثة:**

أصحاب السنن، ماعدا ابن ماجة.

٢٣ ـ **متفق عليه:**

اتفاق البخاري ومسلم على روايته من حديث صحابي واحد.

٢٤ ـ **الجامــــع:**

هو: كل كتاب يجمعُ فيه مؤلفه جميع الأبواب من العقائد

والعبادات والمعاملات والسير مثل: الجامع الصحيح للبخاري ـ رحمه الله ـ.

٢٥ ـ السنن:

هي: الكُتب المصنفة على أبواب الفقه ولا يوجد فيها ما يتعلق بالعقائد والسير، مثل سُنن أبي داود ـ رحمه الله ـ.

٢٦ ـ المستدرك:

هو: كل كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث التي استدركها على كتاب آخر مما فاته شرطه مثل: «المستدرك على الصحيحين» ـ للحاكم

٢٧ ـ المصنفات:

وهي: كُتب مرتبة على الأبواب لكنها تشتمل على الحديث الموقوف، والمقطوع، بالإضافة إلى المرفوع.

ومن أشهرها مصنف عبدالرزاق ومصنف ابن أبي شيبة.

٢٨ ـ المستخرجات:

وهي: أن يأتي المصنف إلى كتاب من كتب الحديث فيُخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه.

ومن أشهرها: المستخرج على البخاري للإسماعيلي.

٢٩ ـ المُسنـــد:

وهو: كل كتاب جمع فيه مصنفه مرويات كل صحابي على حدة، من غير النظر إلى الموضوع الذي يتعلق به الحديث، مثل مسند الإمام أحمد ومسند أبي يعلى.

٣٠ ـ الأطـــراف:

هي: كُتب يقتصر مؤلفوها على ذكر طرف الحديث الدال عليه، ثم ذكر أسانيده في المراجع التي ترويه بإسنادها، وبعضهم يذكر الإسناد كاملاً، وبعضهم يقتصر على جزء من الإسناد.

ومن أشهرها «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي».

٣١ ـ المعاجـــم:

هي: كل كتاب جُمع فيه الحديث مرتباً على أسماء الشيوخ على ترتيب حروف الهجاء غالباً مثل معاجم الطبراني.

١ ـ الكبير: وهو على مسانيد الصحابة، مرتبة على حروف الهجاء.

٢ ـ الأوسط والصغير: مرتبة على أسماء شيوخه.

٣٢ ـ الأجـــزاء:

كل كتاب جمع فيه مؤلفه مرويات راوٍ واحد من رواة الحديث سواء كان من طبقة الصحابة كجزء حديث أبي بكر أو من بعدهم كجزء حديث مالك.

أو جمع فيه مؤلفه ما يتعلق بموضوع واحد على سبيل الاستقصاء كجزء رفع اليدين في الصلاة للبخاري ـ رحمه الله ـ.

مقدمة في علم الفقه

الفقه لغة: الفهم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨﴾ [النساء].

اصطلاحاً: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.

المراحل التي مر بها الفقه الإسلامي:

١ ـ عصر النبوة:

لم تكن الأمة الإسلامية في هذا العصر مختلفة في الأحكام الشرعية لوجود من لا ينطق عن الهوى بينها، يعلم الجاهل وينبه الغافل ويبين الحلال والحرام، فكان قوله ـ ﷺ ـ الفصل عند الخلاف.

ـ وقد عرف الفقه في زمن النبوة من خلال أمور:

١ ـ بيان الرسول ـ ﷺ ـ لحكم الواقعة: كقوله: «من بدل دينه فاقتلوه»[(١)]، فهذا حكم منه ـ ﷺ ـ في المسألة، وكقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١]، فهذا حكم شرعيّ في المسألة.

٢ ـ إقرار الرسول ـ ﷺ ـ لأصحابه في بعض أعمالهم ونقده لبعضهم: مثل:

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله (١٤٩)، حديث رقم (٣٠١٧).

أ ـ إقراره للذي صلّى متيمماً عند فقدان الماء ثم وجد الماء قبل خروج وقت الصلاة وقال له: «أصبت السنة»[(١)].

ب ـ معاتبة أسامة بن زيد عندما قتل المشرك الذي قال لا إله إلا الله فقال له أسامة: إنه قالها فزعاً من السيف. فقال ـ ﷺ ـ: «**هل شققت عن قلبه؟**»[(٢)].

٣ ـ انتشار فعل معين ومع ذلك لم ينه عنه ـ ﷺ ـ ولم ينزل قرآنَ يحرم الفعل؛ فدل على جوازه كعزل الماء عن النساء عند الجماع لقول جابر: «كنّا نعزل والقرآن ينزل»[(٣)].

٤ ـ حدوث حالات طارئة كان الرسول ـ ﷺ ـ يتوقف فيها حتى ينزل القرآن ببيانها كحكم الظهار.. إلخ.

٢ ـ الفقه في زمن الخلفاء:

لم يكن هناك اختلاف كبير بين الصحابة في كثير من المسائل لقربهم من عهد النبوة، ووجود أشياخ الصحابة الذين كانت لهم كلمة الفصل في كثير من المسائل، وظهر ذلك جلياً في عهد الصديق

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة باب في المتيمم يجد الماء بعدما يصلي في الوقت (١٢٨) حديث رقم (٣٣٨)، والنسائي كتاب الغسل والتيمم، باب التيمم لمن لم يجد الماء (٢٧) رقم الحديث (٤٣٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان في باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله (٤١) حديث رقم (١٥٨). وهذا يدل على عدم عصمة الصحابة ولا يقدح بعدالتهم وفضلهم.

(٣) رواه البخاري كتاب النكاح حديث (٥٢٠٨، ٥٢٠٩)، ومسلم باب حكم العزل، رقم الحديث (١٠٦٥).

ـ رضي الله عنه ـ؛ وكلّما تقدم العهد زاد الخلاف، فهو في عهد عثمان أكثر منه في عهد عمر وفي عهد علي أكثر منه في عهد عثمان، وذلك لاتساع رقعة الدولة الإسلامية ولبعدهم عن عصر النبوة.

٣ ـ الفقه في عهد التابعين:

في عهد التابعين وخاصة أواخر القرن الأول اتسع الخلاف في الفقه الإسلاميّ بعد ظهور مدرسة الرأي حيث أصبح عندنا مدرستان:

ـ **مدرسة الحديث**: وكان معتمدها على الحديث.

ـ **مدرسة الرأي**: وهي لا ترفض الحديث لكنّ انتشار الوضع في الحديث وكثرة أهل الكذب جعلها تتحرج في قبول كثير من الأحاديث، وكانت نشأتها في العراق التي قال عنها بعض السلف: «كان الحديث يخرج من المدينة شبراً ويعود من العراق ذراعاً».

مصادر الفقه الإسلامي:

١ ـ **القرآن الكريم**: حيث يأخذ المسلم أحكام المسائل من كتاب الله ـ عز وجل ـ فمثلاً: من زنا وهو غير محصن يُجلد مائة جلدة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢].

٢ ـ **السنة**: حيث يجد المسلم فيها أحكام كثير من المسائل، وكذلك أصول المسائل كقوله ـ ﷺ ـ: «**خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفيُ سنة**»[(١)]، وقوله ـ ﷺ ـ: «من

(١) رواه مسلم، كتاب الحدود، باب حد الزنا (٣)، حديث رقم (١٦٩٠).

بدل دينه فاقتلوه»[١].

٣ ـ الإجماع: والمقصود به: إجماع علماء الأمة في عهد من العهود بعد وفاة النبي ـ ﷺ ـ على أن حكم هذه المسألة هو كذا وكذا. والإجماع يجب أن يبني على الكتاب والسنة.

ومعنى الإجماع أن علماء الأمة قد فهموا الحكم الشرعي من الدليل فهماً واحداً.

٤ ـ القياس: وهو إلحاق واقعة حادثة بواقعة ثبت لها حكم شرعيّ بناءً على دليل من كتاب الله أو سنة رسول الله ـ ﷺ ـ لعلة جامعة بينهما، وقيل: هو إلحاق فرع بأصل لعلة تجمع بينهما؛ كتحريم المخدرات قياساً على تحريم الخمر لعلة الإسكار.

٥ ـ وهناك مصادر أخرى مثل: الاستحسان، المصالح المرسلة، سد الذرائع، قول الصحابي، العرف، عمل أهل المدينة، على خلاف بين أهل العلم في هذه المصادر بين قابل وراد.

القواعد الفقهية وهي كثيرة منها:

أولاً: الأمور بمقاصدها:

الدليل قوله ـ ﷺ ـ: **«إنما الأعمال بالنيات»**[٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله (١٤٩)، حديث رقم (٣٠١٧).

(٢) أخرجه الستة، البخاري، كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ حديث رقم (١)، مسلم، كتاب الأمارة من باب قوله: «إنما الأعمال بالنية»، =

مثال:

١ ـ من فعل المباحات بقصد الاستعانة بها على الطاعة يؤجر عليها لصلاح نيته.

٢ ـ من قتل غيره بلا وجه حق إذا كان عامداً فله حكم، وإن كان مخطئاً فله حُكم آخر؛ لأن الأساس النية.

ثانياً: اليقين لا يزول بالشك:

أدلة القاعدة:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ﴾ [يونس: ٣٦].

قال الرسول ـ ﷺ ـ فيما رواه مسلم: «**إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدرِ كم صلى أثلاثاً أم أربعاً؟ فليطرح الشك وليبنِ على ما استيقن**»[١].

مثال:

١ ـ إذا ثبت دين على رجل ثم شك هل سدد الدين أو لا فيبنى

= حديث رقم (١٩٠٧)، أبو داود، كتاب الطلاق باب فيما عُني به الطلاق والنيات (٩١١)، حديث رقم (٢٢٠١)، الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا (١٦)، حديث رقم (١٦٤٧)، النسائي، كتاب الطهارة، باب النية في الوضوء (٦٠)، حديث رقم (٧٥) وابن ماجة كتاب الزهد باب النية (٢٦) حديث رقم (٤٢٢٧).

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له، حديث رقم (٥٧١).

على اليقين وهو بقاء الدين وعدم التسديد، فيلزمه عند ذلك التسديد.

٢ ـ إذا تيقن إنسان أنه توضأ ثم شك هل نقض وضوءه أو لا؟؛ فيبني على اليقين وهو بقاء الطهارة ويزيل الشك وهو نقضها، والعكس بالعكس.

ويندرج تحت هذه القاعدة قاعدة فرعية: «**الأصل بقاء ما كان على ما كان**»، وهي قاعدة ما ثبت بزمان يحكم ببقائه ما لم يوجد دليل على خلافه، ومعنى القاعدة: أن ما ثبت على حال في الزمان الماضي ثبوتاً أو نفياً يبقى على حاله ولا يتغير ما لم يوجد دليل يغيره.

وأدلة هذه القاعدة هي أدلة القاعدة الأصلية (اليقين لا يزول بالشك).

مثال:

المفقود الذي انقطع خبره ولم يعلم موته ولا حياته فإنه يحكم بحياته؛ لأن الأصل بقاء الحياة.

ثالثاً: المشقة تجلب التيسير:

الأدلة: قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما خيّر رسول الله ـ ﷺ ـ

بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً»[١].

الأمثلة:

١ ـ يشق على المسافر أن يتوقف لكل صلاة فيُسِّر له بالجمع.

٢ ـ إذا شق على الإنسان أن يصلي قائماً يُسِّر له فيصلي قاعداً. . . . . .

رابعاً: الضرورات تبيح المحظورات:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

مثال.

إذا اضطر الإنسان لأكل المُحرم عند خشية الموت جاز له بل وجب عليه عند أكثر أهل العلم أن يأكل حتى لا يموت.

خامساً: لا ضرر ولا ضرار. . . أو قاعدة الضرر يُزَال:

الدليل قوله ـ ﷺ ـ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[٢].

مثال:

من كانت نافذته تؤذي جيرانه فيجبُ عليه إزالة الضرر بإزالتها أو

---

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ـ ﷺ ـ (٢٣) حديث رقم (٣٥٦٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته ـ ﷺ ـ للآثام. . . (٢٠) حديث رقم (٢٣٢٧).

(٢) الحديث حسن أخرجه الحاكم في المستدرك ومالك في الموطأ مرسلاً، موطأ مالك، كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق (٢٦) الحديث رقم (٣١).

كانت أشجار بيته تؤذي جيرانه، أو كانت أرضه أو بنايته تفسد على الناس طرقهم وجب عليه إزالتها.

سادساً: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

مثال:

١ ـ يمنع إدخال الآلات المحرمة ولو فيها مصالح خشية ضرر المفاسد.

٢ ـ إذا وجب على امرأة الغسل ولم تجد سترة من الرجال تؤخر الغسل؛ لأن في كشف المرأة مفسدة والغسل مصلحة فتدرأ المفسدة.

سابعاً: الأصل في الأشياء الحل والإباحة:

الأدلة: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍۢ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍۢ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقال ـ ﷺ ـ: **«ما أحل الله فهو حلال وما حرم الله فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو؛ فاقبلوا من الله عافيته فإنّ الله لم يكن لينسى شيئاً»**(١).

---

(١) أخرجه الطبراني والبزار وسنده حسن وقال عنه الحاكم صحيح الإسناد.

فقد دلت الآيات والحديث على أن الأصل الإباحة والتحريم مستثنى.

مثال:

جميع ما ظهر بهذا العصر من وسائل الاتصال لم يرد فيها دليل يحرمها أو دليل يبيحها كأجهزة الهاتف؛ فيكون الأصل فيها الحل والإباحة.

أسس التشريع الإسلامي.

١ ـ عدم الحرج قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

٢ ـ التدرج في التشريع كتحريم الخمر.

٣ ـ قلة التكاليف قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أبرز علماء الفقه.

ـ للفقه علماء كبار وهم أكثر من أن يحصوا، ولكن يظل أبرزهم بعد صحابة النبي ـ ﷺ ـ وكبار التابعين أصحاب المذاهب الأربعة وهم:

١ ـ أبو حنيفة: النعمان بن ثابت بن زوطي. ولد سنة ٨٠هـ وتوفي ١٥٠هـ.

٢ ـ مالك بن أنس بن مالك الأصبحيّ. ولد سنة ٩٣هـ وتوفي ١٧٩هـ.

٣ ـ محمد بن إدريس الشافعيّ. ولد سنة ١٥٠هـ وتوفي ٢٠٤هـ.

٤ ـ أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ. ولد سنة ١٦٤هـ وتوفي ٢٤١هـ.

* * *

الخاتمـــة

وفي الختام أشكر الإخوة جميعهم الذين ساهوا معي في مراجعة هذه المذكرة الجامعة لعدد من الفنون والعلوم الشرعية، وأخص بالشكر شيخي عبد الرحمن المحمود وأخي الشيخ محمد الخضير وأخي الشيخ الدكتور خالد القاسم وأخي الشيخ الدكتور عبد الله البراك وأخي الشيخ مفلح بن علي الشمري، وأخي الشيخ محمد بن إبراهيم النملة، وأخي الشيخ عماد بكري، وأخي الشيخ محمد الهبدان وأخي الأستاذ عبدالعزيز الخراشي، وأخي الشيخ محمد العقيد، وأخي الشيخ صالح عبد الله العصيمي، وأخي الشيخ عبد العزيز التويجري، وجميع من ساهموا معي سواءً بآرائهم أو مقترحاتهم.

وما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان وأسأله أن يغفر لي خطيئتي وأن يعيذني وإخواني المسلمين من الشيطان، كما أتمنى من أخي الكريم قارىء هذه المذكرة أن لا يبخل عليّ برأيه أو نصحه أو دعائه:

إن تجـــد عيبـــاً فـســد الخلـــلا فجلّ من لا عيب فيه ولا خللا

فمن رأى خطأ أو نقصاً أو زيادة فلا يبخل على أخيه بتنبيهه سواءً بالإتصال الهاتفي أو الرسالة البريدية أو ما أحبه الأخ الكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صالح بن مقبل العصيمي التميمي
ص.ب ١٢٠٩٦٩ الرياض ١١٦٨٩
المحمول: ٠٥٥٤٢٨٩٦٠

فهرس الموضوعات

* * *